بدوي الجبل

عملاق الكلاسيكية المعاصرة

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

بدوي الجبل

عملاق الكلاسيكية المعاصرة

إعداد و دراسة: هاني الخير

أعلام الشعر العربي /بدوي الجبل/
عملاق الكلاسيكية المعاصرة
إعداد ودراسة: هاني الخيّر
سنة الطباعة: ٢٠١٠.
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.
الترقيم الدولي: 7 - 37 – 410 – 9933 - 987
جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة لدار رسلان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣
تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣
ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

رأيي أن الأوزان تتسع لكل نزعات النفس البشرية . كما أنها عذوبة ونغم وعطر وجمال. أجل أن الأوزان أساور وعقود لا سلاسل وقيود. والذين وضعوها كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، فجاءت أوزانهم سجية للذوق العربي .

بدوي الجبل

إضاءة

بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة

يقول أدونيس في شهادة له عن بدوي الجبل :

حين يموت شاعر يستيقظ في العالم شيء كان نائماً . بل يشعر بعضنا أن أشياء كثيرة في ذاكرتهم وحياتهم، تسطع كما أنها تولد للمرة الأولى. كأننا بموته، نرى ما لم نكن نراه - ما كانت العادة أو الألفة تحجبه - وكأن الزمن يكتب موت الشاعر قصيدة أخيرة، تتوهج كضوء أخير .

في هذا الضوء، يتاح لنا أن ندخل إلى مناخ الشفافية : بين الشاعر والشعر، بينه وبين التاريخ . وفي الحالتين بينه وبين الجوهري الباقي .

في الحالة الأولى نرى الشاعر فيما يتجاوز طرقه التعبيرية وأشكاله لا تعود هذه تبدو إلا هيكلاً علينا أن نكتشف وراءه البنية الحية. أو بتبسيط أكثر، لا تعود إلا ثياباً علينا أن نكتشف وراءها الجسد الحي، ونبض الكيان.

وفي الحالة الثانية، نرى فيما يتجاوز الجزئي والمرحلي .. هل كتب وزناً ؟ هل كتب نثراً ما أشكاله ؟ أسئلة تتراجع لتحل محلها أسئلة أخرى : ما الرسالة التي أعطاها ؟ ما المعنى الذي أسسه ؟ ما الأفق الذي افتتحه ؟ ويكون الشاعر شاعراً بقدر ما يتيح لنا شعره الدخول إلى هذه اللجة ... في هذا ما يؤسس عظمة بدوي الجبل . فأنت سواء أكنت شعرياً معه أو ضده لا تقدر إلا أن تشهد لدوره الكبير ومفارقته الإبداعية . لقد ختم تاريخاً شعرياً بكامله، وهو في الوقت نفسه، وبالقوة نفسها، يفتح للشعر العربي أن ينعطف، فيبدأ بنبض آخر، تاريخاً آخر .

* * *

ظهر الثلاثاء الواقع في ١٨ / ٨ / ١٩٨١م توقف قلب الشاعر الكبير - بدوي الجبل - إلى الأبد عن عمر يناهز الـ ٧٨ سنة .

كان فقيد العربية : سيد الكلمة، وأستاذاً لأجيال الشعراء، ومدرسة في الأسلوب العربي، وعملاق الكلاسيكية المعاصرة .

كان شعره تاريخاً حياً لقضايا الأمة العربية خلال نصف قرن . غنى ثوراتها، وغنى آلامها ومآسيها وانتصاراتها .

لهذه الأسباب وغيرها اعتبره نزار قباني :

«**السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي. في حنجرته ألف لبيد، و ألف شريف رضي، وألف أبي تمام.. لا تستطيع إلا أن ترفع قبعتك وتنحني باحترام أمام عبقريته .** »

قال عنه محمد مهدي الجواهري :

« **أكبر شاعر في هذا العصر بدوي الجبل .. وشاعر آخر** » !!

أما أمين نخلة فقال عنه :

« **بدوي الجبل أمير الشعراء .. وأوفى الأوفياء** » .

ووصفه الأخطل الصغير - بشارة الخوري - بأنه :

« **علم الشعر العربي في هذا العصر** » .

وها هو اليوم يعود إلى قريته الوديعة ليدفن بجوار مقام والده .. وعلى الطريق الطويلة الموصلة إلى قرية (السلاطة) خرج الرجال، والشيوخ، والنساء، والأطفال، لاستقبال جثمان بدوي الجبل، القادم إليهم من دمشق التي أحبته حتى الموت ... ولم ينس الأهالي أن يرشوا على التابوت الزهور البرية .. والرياحين وارتفع الآذان مدوياً :

الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله ..

❖ مولده ونشأته :

ولد (محمد سليمان الأحمد) في قرية (ديفة) إحدى قرى محافظة اللاذقية . وترعرع في قرية (السلاطة)، وثمة خلاف بين الباحثين على تحديد تاريخ مولده .. غير أنه من الراجح أنه من مواليد ١٩٠٥ هذا التاريخ يؤكده الشاعر نفسه .

نشأ في بيئة دينية وفي بيت علمي عريق، يضع العلم والأخلاق في المكان الأول . كان والده - العلامة الجليل الشيخ سليمان الأحمد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق - فقيهاً معروفاً وأديباً كبيراً وشاعراً، وصاحب طريقة صوفية حيث جعل

منزله الريفي البسيط مدرسة مفتوحة بالمجان لطلاب العلم، وعشاق اللغة والأدب، والفقه الإسلامي .

كان البدوي أكبر أبنائه الذكور، وقد توفيت والدته وهو في الثانية من عمره، ولم يفتقد وجودها لأنه ما احتفظ منها بذكرى وهو في تلك السن، ولأن زوجة أبيه كانت طيبة القلب . رحيمة شفيقةٌ به ـ على حد قوله ـ .

دخل شاعرنا كتَّاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة في القرآن الكريم على غرار أبناء ذلك الجيل . ثم درس على أبيه وحفظ القرآن في سن مبكرة . كما قرأ عليه شعر قدامى الفحول .. وكانت له صحبة ممتعة مع كتب الأدب .. وأمهات مصادر التراث العربي .. علاوة على كتب فقه اللغة، والفلسفة العربية الإسلامية، وعلم الاجتماع، ومؤلفات « غوستاف لوبون » المترجمة للعربية .

❖ **بداية النضال :**

في الحادية عشرة من عمر « بدوي الجبل » نقله والده إلى مدرسة إعدادية في اللاذقية، وأسكنه غرفة في منزل عائلة كان يثق بأفرادها، حيث اعتنى به متصرف المدينة ـ آنذاك ـ المرحوم (رشيد طليع) . وفي عام ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية اللاذقية، فترك المتصرف مقره والتحق بالملك (فيصل) الأول بدمشق فعينه متصرفاً على مدينة حماه . وعن هذه الفترة يروي بدوي الجبل في ذكرياته أنه:

« ذات يوم فوجئنا بعسكري يزور والدي موفداً من قبل (رشيد طليع) وحاملاً استدعاء لي إلى حماه، كي يعود ويرسلني إلى دمشق لإنهاء دراستي . ونزل والدي عند رغبة صديقه فانتقلت إلى دمشق حيث التحقت بمدرسة « عنبر » وفيها بدأت أنظم الشعر . على أن بقائي في هذه المدرسة لم يطل، فقد عين الملك فيصل (رشيد طليع) وزيراً للداخلية، فيما كانت ثورة الشيخ (صالح العلي) في بدايتها، وقد صدرت أرادة ملكية بإرسال وفد حكومي رسمي إلى الشيخ (العلي) يفاوضه حول خطوط ثورته ومداها . فتألف الوفد من وزير الدفاع (يوسف العظمة)، ومن (نسيب حمزة) أحد أقطاب الكتلة الوطنية بدمشق . لكن (رشيد طليع) نصح الملك (فيصل) بأن لديه غلاماً لأبيه منزلة كبيرة لدى الشيخ صالح العلي ... فإذا ما رآه في رفقتنا سيسر به ويأنس إليه . وافق الملك (فيصل) على هذا الطلب وانضممت إلى

الوفد . ركبنا القطار حتى حماه ... ثم ركبنا عربة خيل نقلتنا إلى بيت الشيخ الجليل (صالح العلي)، الذي أبدى ترحيبه بالوفد بعد أن عرف أسمي وكان جوابه حول المهمة :

أبلغوا الملك فيصل أنني لا ابتغي المال، إنما أريد استبقاء هذا الفتى لدي ! وعاد الوفد إلى دمشق ليطلع الملك فيصل على تفاصيل ما جرى، وقال له الوزير (يوسف العظمة):

((لا حاجة بك إلى إرسال إي كان إلى الشيخ (صالح العلي) سوى هذا الغلام .. وأشار بيده إلي)) .

في هذه البيئة .. ومن خلال أحداث الثورة عاش بدوي الجبل وأخذ ينظم الشعر، وكان والده وهو من كبار الشعراء أيضاً يستمع إلى قصائده، ويوجه له الملاحظات .. وينبهه إلى مواطن الضعف والخلل في قصائده، ليتمكن من إجادة فن الشعر، حتى ملك ناصية اللغة واستجابت له الألفاظ والقوافي، فإذا هو يعد من الشعراء البارزين ولما يتخط سن العشرين .

❖ **الديوان الأول :**

أصدر بدوي الجبل ديوانه الأول وأسمه (البواكير) عام ١٩٢٥ . وقد صدر هذا الديوان عن مطبعة العرفان في صيدا . وكان ثمن النسخة الواحدة ليرة سورية .

أهدى البدوي ديوانه هذا إلى :

« الشهيد الراقد في ميسلون، إلى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة » .

ومن المفيد هنا أن نسجل رأي الشاعر بشارة الخوري في ديوان البواكير :

« ما عرفت شاعراً لا يدل شعره عليه كبدوي الجبل . إن شعره أرجح من عمره..؟؟» كذلك كتب عنه الشيخ عبد القادر المغربي ـ عضو مجمع اللغة العربية بدمشق:

« إنه الشاعر الذي تمرد على أسلوب التدرج » ولو أن الأصمعي القائل في شعر أبي العتاهية ((أنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب)) استشف ما سيبدعه بدوي الجبل لقال : هذه ساحة لا خزف فيها : إنها سوق للذهب واللؤلؤ والمرجان.

❖ **أنموذج من شعره في هذه المرحلة :**

شـــبح المــوت : مـــا يخيـــف البرايـــا
مـــــن حتـــــوف تعـــــانق الأرواحـــــا ؟

وجــــد النــــاس في كؤوســــك سمَّـــاً
غــــير أنــــي وجــــدت فــــيهن راحــــا

فاســقنيها قــد طــال صــحوي ومكثــي
وتمنيــــــــت ســــــــكرة ورواحــــــــا

لا تبـــادر بهـــا وقـــد نـــصل الليـــل
وذرنــــي حتــــى أحيــــي الــــصباحا

وتمهَّـــل حتـــى أودع نـــور الـــشمس
إذ هــــــم أن يلــــــوح فلاحــــــا

ثـــم خـــذني إليـــك يـــا مـــوت جـــذلان
طروبــــــاً إلى الــــــردى مرتاحــــــا

ذاك مـــــصباح صـــــبوتي وشـــــبابي
فتعــــــدل وأطفــــــئ المــــــصباحا

❖ **قصة اللقب :**

لذلك قصة واردة في مقدمة ديوانه تقول : « كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره إلى جريدة (ألف باء) الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة

شعره، وحدث أن هز العالم نبأ المناضل الأيرلندي، ماك سويني، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الإنكليز في بلاده صياماً حتى الموت، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائماً، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية، وبعث بها إلى (ألف باء) مع تحية شعرية لروح الشهيد، وفي اليوم التالي، رأى قصيدته مذيلة بتوقيع (بدوي الجبل) فسعى إلى صاحبها الأستاذ (يوسف العيسى) يسأله عن السبب، فأجابه : « إن الناس يقرؤون للشعراء المعروفين ولست منهم، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على أن يقرؤوا الشعر للشعر وإن يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت في ديباجتك بداوة، وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب .. وأنت ابن الجبل » . وتوالت قصائد البدوي ونقلتها صحف في بيروت شادية بها، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو (خير الدين الزركلي) ؟ أم هو (خليل مردم بك) ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ، إلى أن دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء وأعضاء المجمع العلمي إلى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل، إنه محمد سليمان الأحمد » وراح البدوي يشدو، وهم في نشوة مما يسمعون ... » .

وفي هذا الصدد يقول بدوي الجبل :

« تسمية بدوي الجبل طغت على أسمي . حتى زوجتي تناديني يا بدوي . من المراسم الرسمية ما أخطأ في تدوين أسمي، إذ صدر مرة مرسوم بتعيين أحمد سليمان الأحمد، لا محمد سليمان الأحمد، وزيراً، ولي أخ يدعى أحمد ـ وهو ينظم الشعر أيضاً ـ فاقتضى التصحيح كي يتاح لي أن أتناول راتبي » .

❖ بدوي الجبل وتجربة السجن :

كان شعر بدوي الجبل جزءاً من القضية الوطنية، وصورة صادقة عن نفسه، إذ كان وإخوانه يناضلون ضد المستعمر، لذلك أتجه في شعره ـ خلال هذه المرحلة ـ إلى دعوة الناس للثورة .. وإلى التغني بالأمجاد العربية والأيام الزاهية المشرقة .. فكانت النتيجة أن سجن شاعرنا وهو في سن مبكرة .

يتحدث بدوي الجبل عن ذكرياته قائلاً :

« لدى دخول الفرنسيين إلى دمشق، اضطررت إلى الفرار والتواري عن الأنظار في أماكن عديدة .. غير أن الاستخبارات الفرنسية عرفت بأمري، فاعتقلت في حماه

وكان يحكمها ضابط يدعى (الكابتن ميك) . ولما جيء بي إلى سرايا الحكومة في المدينة، أمر الضابط الفرنسي جنوده بأن يخلعوا نعلي، ففعلوا وانهالوا علي ضرباً لا رحمة فيه ولا شفقة حتى دميت قدماي .. وذات يوم زار قلعة أرواد - حيث سجنت - الحاكم العسكري لمدينة اللاذقية وكان يدعى (الكولونيل نيجر) فلما شاهدني ولم أكن قد تجاوزت السادسة عشرة من عمري قال :

((هذا خطأ بل فضيحة !! كيف يحكم على فتى في هذه السن بالسجن ثلاثين عاماً ! ؟)).

فكانت النتيجة أن أخرجني (الكولونيل) من القلعة على مسؤوليته الخاصة، وأبرق إلى وزارة الدفاع شارحاً الأمر، وطالباً إلغاء الحكم بسبب صغر سن المحكوم عليه . فكان رد المراجع المعنية بالموافقة على إطلاق سراحي مع وقف التنفيذ.

ثم تنقل البدوي بين السجون في حمص، وحماه وأرواد، وبيروت، وكان اعتقاله الأخير سنه ١٩٤٢ في قلعة كسب على الحدود السورية - التركية . والسبب قصيدته الوطنية الشهيرة التي مطلعها :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحديد وما رقّوا لبلوانا

خل العتاب دموعاً لا غناء بها
وعاتب القوم أشلاء ونيرانا

أني لأشمت بالجبار يصرعه
طاغٍ ويرهقه ظلماً وطغيانا

هذه القصيدة الشهيرة التي رجت وجدان المواطنين العرب لأنها عبرت عن رفض الجماهير العربية للاحتلال الأجنبي فوق الأرض العربية .

لقد ظل سجيناً ثلاثة أشهر دون أنيس أو جليس أو كتاب، فحاول التخفيف من وطأة الاعتقال، بالتفكير والتأمل وتلاوة القرآن الكريم الذي حفظه غيباً .. وينجح البدوي في تهريب رسالة إلى والده، ليدله على مكان اعتقاله، وأنه ما يزال حياً يرزق .. ويطلب في نهاية الرسالة أن يرسل له خمس ليرات ذهبية، ليقدمها رشوة إلى سجانيه، ليسمحوا له بنظم الشعر على الورق الذي هربوه إلى زنزانته .. ومما قاله بعد خروجه من السجن :

إذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة
ففي نفسه دنيا هي العز والكبر

وإن حجبوا عن عينيه الكون ضاحكاً
أضاء له كون بعيد هو الفكر

أنزَّهُ آلامي عن الدمع والأسى
فتؤنسها مني الطلاقة والبشر

وأضحك سخراً بالطغاة ورحمة
وفي كبدي جراح وفي أضلعي جمر

أطل على الدنيا عزيزاً: أضمني
إليه ظلام السجن أم ضمني القصر

وما حاجتي للكائنات بأسرها
وفي نفسي الدنيا وفي نفسي الدهر

يريدون أسراري ولليل سره
إذا نقبوا عنه وما للضحى سر

ثم جاءت المرحلة الثانية - في مسيرته الشعرية - مرحلة ما بعد الاستقلال، وفيها كان مؤرخاً لحركة التاريخ العربي الحديث . فما من حدث قومي إلا وله في وصفه قصيدة كبرى لا تكاد تذاع حتى تتناقلها الشفاه للآذان .. مما جعل أحد النقاد يقول عن بدوي الجبل .

« **أنه الشاعر الذي غنت البلاد على قيثارته في أفراحها، ومسحت بشعره الدموع في أحزانها . .** » .

❖ **قراءة سريعة في يشعر البدوي :**

من عرف البدوي يحمل في موسيقا شعره زفرة خرساء من زفرات فجر الحب الأول، وعرف أن في زوايا نفسه الريانة الفتية، شاعرية تهمس في آذان الحياة أعمق أسرار السعادة، أدرك عذوبة معانيه المنسابة في شعره .. ولعل خير ما عند بدوي الجبل من شعر هي قصائد (الوجدانية) و (الواقعية) و (القومية) ففي الأولى يتسامى إلى عالم الروح السامي - عالم الخلود - . وفي الثانية والثالثة يدخل إلى ساحات المعارك، جندياً عربياً ثائراً صريحاً شجاعاً .

يقول في قصيدته الرقيقة التي نظمها أثناء هجرته إلى (فيينا) وأهداها إلى حفيده (محمد) وكان عمره سنة واحدة، وفيها بلغ ذروة الحنان والإنسانية ... إذ يفيء بحبه على الطفولة كلها ويعبر عن انتمائه للإنسانية، ومطلعها :

سلي الجمر هل غالى وجن وعذبا

كفرت به حتى يشوق ويعذبا

وفيها يهتف :

تود النجوم الزهر لو أنها دمى

ليختار منها المترفات ويلعبا

وعندي كنوز من حنان ورحمة

نعيمي أن يغرى بهن وينهبا

يــزف لنــا الأعيــاد عيــداً إذا خطــا

وعيــداً إذا نــاغى وعيــداً إذا حبــا

كزغــب القطــا لــو أنــه راح صــادياً

ســكبت لــه عــيني وقلــبي ليــشربا

وأثارت القصيدة شاعر الشام الكبير شفيق جبري فأرسل إليه قصيدة مطلعها :

سـل الـشام مـن غنـى حماهـا فأطربـا

ومــن راح يــسقيها الــشراب المطيبــا

وردّ البدوي وكان في سويسرا بقصيدة رائعة منها:

وفــاء كمــزن الغــوطتين كــريم

وحــب كنعمــاء الــشام قــديم

يلـم (شـفيقٌ) كوكبـاً بعـد كوكـب

ونــسَّق منهــا العقــد فهــو نظــيم

وفي (جنيف) دفعه الشوق والحنين لتذكر دمشق فنظم قصيدة عذبة .. حزينة حملت اسم (ابتهالات)، أهداها إلى قبور الأحباء في : دمشق وحلب وحمص واللاذقية وبغداد .

لا الغوطتــان ولا الــشباب

أدعــو هــواي فــلا أجــاب

أيـــن الـــشآم مـــن الـــبحيرة

والمـــــــــآذن والقبـــــــــاب

وقبـــور أخـــواني ومـــا أبقـــى

مـــن الـــسيف الـــضراب

هـــذا الأديـــم أبـــي وأمـــ

ـــي والبدايـــة والمـــآب

يـــا شـــام عطـــر ســـريرتي

حـــبٌ لجمرتـــه التهـــاب

لـــكِ مهجـــتي وقبولهـــا

منـــك الهديـــة والثـــواب

وتجدر الإشارة إلى أن (الوجدانيات) في شعر بدوي الجبيل موجودة في أبياته كلها.. حبه لوطنه .. حبه لحبيبته في المديح والرثاء . ولكن الوجدانيات تظهر بوضوح أكبر في القصائد التي نظمها بعيداً عن الديار هارباً من وجه المستعمرين، أو مبعداً عنه لظروف سياسية .

ومن وطنياته قصيدة (عيد الجلاء) التي يقول في مطلعها :

الزغاريـــد فقـــد جـــن الإبـــاء

مـــن صـــفات الله هـــذي الكبريـــاء

ثم يصف الفرنسيين في المعركة الأخيرة التي انتهت بالجلاء :

عنـــف بـــاريس شــــجاني أمـــــره
بدعــــة الأقـــدار عنـــف الجبنــــاء

قــــد عــــذرناهم علـــى غــــدرهم
واســــترحنا واســـتراح الطلقـــاء

بــــورك الإيمـــــان نــــوراً وهــــدى
نعمــــــة الله وســـــر العظمـــــاء

وتجـد في قـصيدة (دمـع ودمـوع) الرجـوع إلى معـارك العـرب التاريخيـة الفاصـلة فيقول :

قــف علــى (اليرمــوك) وأخــشع جاثيــاً
وتــــيمم مـــن صــــعيد (القادســــية)

تربـــــــة طيبــــــــة طـــــــاهرة
وقبــــور مـــن حيـــا الـــدمع رويـــة

هـــا هنـــا مثـــوى الـــصناديد الأولى
قـــد لـــووا فـــسراً عنـــان الجاهليـــة

والحـديث يطـول كـثيراً عـن الـشعر الـوطني والـسياسي الـذي أرخ الأحـداث التاريخية وعن أرائه في الوحدة والقومية العربية والحرية .. حتى تشعر أنك أمـام رجـل سياسـي سـخر الـشعر لأغراضـه الـسياسية في الـدفاع عـن أمتـه والنـضال مـن أجـل

حريتها وعزتها وكرامتها ، كما استخدم (المتنبي) الشعر للوصول إلى أغراضه السياسية ودعوته بطرد العلوج وعودة العرب إلى عزهم ومجدهم .

وللغزل عند بدوي الجبل مكانة خاصة به .. ففي مطلع الخمسينات تناقل الشباب قصائده الغزلية ، والتي لا تزال ترددها الشفاه حتى الآن .. وقد قال النقاد عن غزله :

إن بدوي الجبل غلب القدماء ونسي الناس قصائد كثير عزة ، وجميل بثينة ، وجرير .. وحفظوا قصائد البدوي وخاصة قصائده : إلى خالقة ، وسمراء ، وشقراء ، وغيرها من القصائد .

يجنح بدوي الجبل في شعره إلى الحب العذري ، الذي لا قيمة للجسد فيه إنما للروح وهو يقول :

« لم أحب امرأة في حياتي حبي لزوجتي . وإن كانت قد مرت بي فترات حب صادقة ، فقد كان حبي ذلك عذرياً لا تشوبه نزعة مادية . والحب في معناه العام ومعناه الخاص نعمة من نعم الله . عقيدتي أن الحياة لا تستقيم إلا به في شموليته ، أي على الإنسان أن يحب سواه ويحنو عليه حنو الأخ على أخيه . ففي قصيدتي (خالقة) وهي في رأيي من أجود شعري الغزلي يتجسد معنى ما أقول :

من نُعْمَيَاتك لي ألف منوعة
وكل واحدة دنيا من النور

رفعتني بجناحي قدرة وهوى
لعالم من رؤى عينيكِ مسحور

أخادع النوم إشفاقاً على حلم
حان على الشفة اللمياء مخمور

ومن قصيدته (أتسألين عن الخمسين) نختار هذه الأبيات :

أتـــسألين عـــن الخمـــسين مـــا فعلـــت

يبلـــى الـــشباب ولا تبلـــى ســـجاياه

في القلـــب كنـــز شـــباب لا نفـــاد لـــه

يعطـــي ويـــزداد مـــا ازدادت عطايـــاه

هـــــذا الـــــسلاف أدام الله ســـــكرته

مـــن الـــشفاه البخـــيلات اعتـــصرناه

ولكن الشاعر الكبير بدوي الجبل ليس بالعاشق السهل الذي يمكن خداعه .. فهو أناني في حبه .. لا يقبل الخديعة ولا المراوغة .. فإن أحب أعطى .. وإن كره حقد .. وإذا حقد حطم ما بناه تحطيم جبار .. وهذا الحب لم نعرفه إلا عند البدوي لأنه الشاعر الوحيد الذي يحب الحب ويحب الحقد عندما يقتضي الأمر ذلك .

وها هو يحطم بيديه حبيبته التي أحبها وعبدها ومنحها الحب كله .. في قصيدته (الدمية المحطمة) :

أيـــا دميـــة أنـــشأتها وعبـــدتها

كمـا عبـد الغـاوون منحـوت أحجـار

ســكبت بهــا روحــي وأهــواء صــبوتي

وألـــوان أحلامـــي وبدعـــة أطـــواري

ونامــت علــى الحلــم المــريح بمقلــتي

وهدهـــدها عطـــري وحـــبي وإيثـــاري

ويـــا دميـــة أنـــشأتها ثـــم حطمـــت
يـــداي الـــذي أنـــشأت تحطـــيم جبـــار

جمالـك مـن سـحري وعطـرك مـن دمعـي
وفتنتـــكِ الكـــبرى خيـــالي وأشـــعاري

رددتـــك للطـــين الوضـــيع ومـــا حنـــا
علــى روضــك الهــاني هبــوبي وإعــصاري

وفارقـــت إذ فارقـــت الطـــين وحـــده
وعـــادت إلى نفـــسي عطـــوري وأنـــواري

* * *

❖ تعريفه للشعر :

يرى بدوي الجبل أن الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح . وأن في العالم صراعاً بين العقل والقلب، ولا بد من أن ينتهي بانتصار القلب .

وهو لا يؤمن بالشعر الحديث لأن الشعر - على حد تعبيره - لا قديم فيه ولا حديث ..إما أن يكون شعراً أو لا يكون . ويعتقد بدوي الجبل .

« أن شعر أدونيس القديم، يدل على شاعرية ضخمة، لكنه لو وضع خياله الحاضر وتألقه وتأنقه في الأوزان الصحيحة، لكان شاعراً محلقاً غير أنه - للأسف الشديد - لم يفعل ذلك . فهو قد أضاع بشعره طابعه العربي . إذ لا شاعرية فيما يكتب أدونيس، لأن أسلوبه لا يحمل نشوة الشعر » .

❖ عقدة البدوي :

يقول الأستاذ أحمد الجندي : أن هناك عقدة عند بدوي الجبل - أن صح أن تدعى كذلك .. كانت ذات نتيجة إيجابية، لا شاعر يحرص في بعض الأحيان على أن يعبر شعرياً كفارس أو ملك ناهجاً في ذلك نهج (المتنبي) الذي كان يقول :

ففـــــــؤادي مــــــــن الملـــــــوك وإن

كـــان لـــساني يـــرى مـــن الـــشعراء

ويقول بدوي الجبل :

وهـــددني بالـــسجن قـــوم جهالـــة

فتـى العـرب الأمجـاد لا يرهـب الـسجنا

إذا طرقـــوا بـــاب الملـــوك فـــإنهم

بغـير العـوالي الـسمر لم يطلبـوا إذنـا

هذه العقدة كانت أيضاً عند (أبي فراس الحمداني)، وعند الشعراء الفرسان، ولهم مدرسة وخصائص ومواضيع وربما أساليب متشابهة أيضاً، وكأن بدوي الجبل يخشى في أعماق نفسه أن يدخل التاريخ على أنه شاعر فقط، فنراه يفضل أن يكون رفيقاً، لإبراهيم هنانو، وسعد اللّه الجابري، وفارس الخوري، وغيرهم ... على أن يكون زميلاً لأي شاعر آخر .

وربما يعود هذا الأمر إلى أن بدوي الجبل، جمع بين الشعر والسياسة خلال حياته . ويبقى ديوان شعره مجموعة لتجاربه ولتخليد المناسبات .. يعاد إليه لدراسة عصر الشاعر من جهة نظر شاعر معين .

كذلك فإن شعره مستمد من صميم النفس الإنسانية . إنه حديث المرء عن آلامه وشجونه وغربته وتشرده ومعاناته، وشعوره الصادق النابع من سريرة الشاعر، وما في هذه السريرة وهذا الوجدان من أحزان وآلام .

❖ آخر حديث صحفي لبدوي الجبل:

في الشهر الخامس من عام ١٩٨١ أدلى بدوي الجبل بآخر حديث صحفي له . ونشرته - آنذاك - في جريدة البعث . ولقد وجدت من المفيد أن أنشر معظم فقرات الحديث ثانية نظراً لأهميته .. واستكمالاً للبحث .. بهدف الإحاطة بأسرار شاعرية

بدوي الجبل، وسبر أعماقها، لأنها تملك طاقة أبداعية من العبقرية، تجعل الكاتب يحار في أي النواحي يعالجها في دراسته لها .

ـ يقول عنك بعض النقاد أنك متنبي القرن العشرين ؟

❖ هناك متنبي واحد .. ومن يدعي الآن أنه المتنبي فهو دجال كذاب، مع الأخذ بعين الحسبان أن لكل شاعر أصيل شخصية متميزة خاصة به .

ـ أوقات نظمك للشعر ؟

❖ الشعر يملكني ولا أملكه، قد تنقضي ثلاث سنوات لا أنظم فيها بيتاً واحداً .. وقد أنظم قصيدتين في أقل من شهر واحد .. أحياناً أكون نائماً .. أستيقظ فجأة .. وأطلب من ابني (منير) أن يسجل كتابة الأبيات التي أكون نظمتها . وربما دوّن لي عشرات الأبيات الشعرية خلال ساعة واحدة .

ـ رأيك في الأوزان الشعرية ؟

❖ رأيي أن الأوزان تتسع لكل نزعات النفس البشرية .. كما أنها عذوبة ونغم وعطر وجمال .. أجل إن الأوزان أساور وعقود لا سلاسل وقيود . والذين وضعوها كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، فجاءت أوزانهم سجية للذوق العربي .

ـ سمعت أنك أنهيت كتابة سيرتك الذاتية فماذا تضمنت ؟

❖ نعم أنهيت كتابتها . وتحدثت فيها عن طفولتي .. ونشأتي . . ومصدر ثقافتي .. وعلاقتي بأعلام عصري من شعراء وأدباء وسياسيين . وأفردت حيزاً عن ذكرياتي السياسية . بالإضافة إلى حكايات طريفة جرت حوادثها معي ـ كقصة خلافي مع المطربة الراحلة (أم كلثوم)، وهناك في هذه المذكرات نماذج من رسائل أرسلتها إلي الأديبة (مي زيادة) . وتضمنت ـ هذه المذكرات ـ رحلة التشرد التي عشتها بين بيروت واسطنبول، وروما، وفيينا، وجنيف، منذ أواخر العام ١٩٥٦ وحتى العام ١٩٦٣.

ـ ماذا عن خلافك مع أم كلثوم ؟

❖ في الخمسينات جاءت السيدة أم كلثوم إلى دمشق، وأحيت حفلتها الفنية في مدرسة (اللاييك) وقد دعتني إلى حضور الحفلة فذهبت إلى هناك، على الرغم من أنني لا أحب مثل تلك الحفلات الغنائية الصاخبة .. في اليوم التالي زارتني في المنزل يرافقها السيد (محمود رياض) ـ سفير مصر بدمشق آنذاك ـ وطلبت مني أن أسمح لها

بغناء قصيدتي المسماة (شقراء) التي نظمتها بفتاة سويسرية ومما قلته في تلك القصيدة :

شـــقراء يـــالون حـــسن　　　　محبـــب مـــستبد

وقد طلبت سيدة الغناء العربي (أم كلثوم) أن أبدل كلمة (شقراء) بـ (سمراء) فاعتذرتُ عن تحقيق طلبها ، لأن القصيدة بالأساس ألهمتني إياها فتاة سويسرية (شقراء) وليست (سمراء) !! ثم زارتني (أم كلثوم) أكثر من مرة بمنزلي بهدف التراجع عن قراري فباءت محاولتها بالإخفاق .. وخرجت غاضبة من منزلي .

ـ متى قابلت الشاعر أحمد شوقي أول مرة ؟

❖ قابلته في بيروت بالعشرينات ، في أحد المقاهي القريبة من فندق (سافواي) وقد أبدى إعجابه بإحدى قصائدي . وكانت من نفس وزن إحدى آخر قصائد شوقي ... وأتذكر أنه قال لي : أن مستقبلك سيكون باهراً في عالم الشعر .

ـ خلال قراءاتي لقصيدة شوقي في رثاء عبد الخالق ثروت توقفت عند البيت التالي :

أبـــا عزيـــز ســـلام الله لا رُســـلٌ

إليـــك تحمـــل تـــسليمي ولا بـــرد

حيث وجدت أنك تقول نفس هذا البيت تقريباً في قصيدتك التي نظمتها برثاء صاحب جريدة الحياة (كامل مروة) إذ تقول :

أبـــا جميـــل ســـلام الله لا كتـــبٌ

إليـــك تحمـــل أشـــواقي ولا بـــرد

ـ كيف تفسر هذا التشابه ؟

❖ لا أتذكر كيف حدث ذلك . ربما يكون الأمر مجرد توارد خواطر . في الطبعة الثانية من ديواني سأستدرك الأمر .

ـ آخر كتاب أعدت قراءته ؟

ديوان الشاعر الراحل خليل مطران !!

ـ ماذا بعد ؟

❖ هناك خاتمة للأنبياء وليس هناك خاتمة للشعراء .

ـ كلمة أخيرة .

❖ هذا هو بدوي الجبل الشاعر الكبير الذي انتزعته الحياة من جبال اللاذقية . فمنحته روعة الفجر، وسحر الغروب، ورقة النسائم ، وثورة الرياح، وعناد الصخور، ونقاء الثلج، وصفاء السماء، وعطر الزهور . فجاء مزيجاً مركباً من كل هذا . وقد يتغلب لون من هذا المزيج على طبيعته أحياناً، وقد يختفي . إلا أنه لا يعدم أو يموت . وسيظل شعره دائماً ندياً مخضلاً بالأطايب .والجدة ، والروعة، والخلود .

هاني الخيِّر

مراجع البحث

❖ ديـــوان بـــدوي الجبـــل . ـــ جريـــدة البعـــث ٢٩- ٥- ١٩٨١

ـ العراق في الشعر العربي، د.محسن ـــ جريـــدة البعـــث ٥- ٦- ١٩٨١
جمال الدين .

ـ شعراء سورية ، أحمد الجندي . جريدة السفير ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٨١مقال
ـــ مجلــة الأمــاني ـــ ج ٤ ســنة ١٩٣١ عـــن البـــدوي بقلـــم أدونـــيس .

ـ جريدة الثورة ٢٣- ١١- ١٩٧٨ مقال ـ فنون الأدب المعاصر في سورية، محمد
عن بدوي الجبل بقلم د . أحمد سليمان الخطيب .
الأحمد .

قصائد مختارة

لبدوي الجبل

ثلاث قصائد لبدوي الجبل

قال لنا بدوي الجبل عن خير ثلاث قصائد له أن قصائده كأولاده كلهم لديه أثير وكلهن خير. ولكن يظهر أن القصائد الثلاث التي ننشرها هنا هي التي تتبوأ الذروة بين روائع البدوي التي نفح بها دنيا العروبة والعبقرية، إن هذه المقطوعات الثلاث تطلع علينا بجوانب ثلاثة لشاعرية البدوي يتمثل فيها أثر عاطفته الجياشة المسيطرة على كل ما يقول، هذه العاطفة مما لا تستطيع أن تحدده تحديداً تاماً بلفظة واحدة، ولكننا نقدر على القول أنها الحنين، الحنين القوي إلى أحبائه الذين توسدوا رمال صحارهم المقفرة، أو الحنين إلى فقيده الغالي الذي كان يحن إلى الطبيعة حنيناً عارماً وهي ملك يديه، أو الحنين إلى دميته التي حطمها وظل على رغم تحطيمه لها يحن إلى الروح التي تبددت مع الدمية يوم تحطمت.

إن حنين بدوي الجبل الذي سكب في كل لفظة من ألفاظه الجزالة والقوة، ذلك أن الحنين يمثل الذروة التي تصل فيها رقة العاطفة في الرجل الحق الرجولة الذي تضطرم فيه المشاعر ويتأجج شوقه ويصهره عذاب الروح دون أن تصل فيه الرقة إلى الاستخذاء والضعف الذي لا يليق بالرجولة. الحنين هو أرق عواطف البدوي في الصحراء الذي يصل به اضطرام العاطفة أن تلازمه ذكرى حبيبة حتى في ساح الوغى، فيحن من أجلها إلى تقبيل شفار السيوف. فلا عجب أن ترى ما في بداة الصحراء في بدوي الجبل، وأن شعره لخير من أشعارهم وأنه لأبقى:

١ ـ الدمية المحطمة

أيـــا دميـــة أنـــشأتها ...... وعبـــدتها
كمــا عبــد الغـــاوون منحــوت أحجــار

ســكبت بهــا روحـــي وأهــواء صــبوتي
وألـــوان أحلامـــي وبدعـــة أطـــواري

جمعــت بهــا الــدنيا فكانــت ســلافتي
وكأســي ونــدماني وأهلــي وسمــاري

ونامــت علــى الحلــم المــريح بمقلــتي
وهدهــــدها عطــري وحـــبي وإيثـــاري

ويـــا دميـــة أنـــشأتها ثـــم حطمـــت
يـــداي الـــذي أنـــشأت تحطـــيم جبـــار

جمالــك مــن ســحري وعطــرك مــن دمــي
وفتنتـــكِ الكـــبرى خيـــالي وأشـــعاري

وثغـــرك مـــن حـــاني فيـــالمنمنم
نـــدي بأنفـــاس الريـــاحين معطـــار

خلقتــك مــن أهــواء نفــسي ونوعــت

بــك الحــسن أهــوائي وحــبي وأطــواري

فمـــا يـــشتهى خـــداك إلا لأنـــني

تركــت علــى خــديك إثمــي وأوزاري

ومـــا أســـكرت عينـــاك إلا لأنـــني

ســكبت بجفنيــك الغــويين أســراري

أينكرنـــي حـــسن خلقـــت فتونـــه

فيخـــنقني عطـــري وتحـــرقني نـــاري

وتنكرنــي ... يــا غــضبة الــشعر والهــوى

ويــا غــضبة الــدنيا ويــا غــضبة البــاري

رددتـــك للطـــين الوضـــيع ومـــا حنـــا

علــى روضــك الهــاني هبــوبي وإعــصاري

وفارقـــت إذ فارقتـــك الطـــين وحـــده

وعـــادت إلى نفـــسي عطـــوري وأنـــواري

* * *

٢ ـ رثاء سعد الله

حنــــت الغوطـــــة الـــــرؤوم لـــــسعد
ورواح لـــــــه عليهــــــا ومفـــــــدى

طالمـــــا بـــــاكر الريـــــاحين فيهـــــا
وســــقاها النــــدى حنينــــاً ووجــــدا

وشـــــكى همــــه فيـــــا لــــك شـــكوى
نــــورت في الربــــى أقاحــــا ورنــــدا

قـــال لـــي والربيـــع غـــافٍ علـــى الزهـــر
يـــــذيع الأحــــــلام عطــــــراً وَنـــــدّا

والغــــــروب النــــــدي في الغوطــــــة
المعطــــار يحنــــو علــــى الظـــلال فتنــدى

وقطيـــــع مــــــن الـــــشياه ورعيـــــان
وأغنيــــــــة تـــــــرق فـــــــتردى

مـــا أحـــب الحيـــاة في غوطـــة الـــشام
وأفجــــع بــــالموت هجــــراً وفقــــدا

أي ورد للحـــسن تـــشتفه عـــيني

ويبقـــــــــى بقـــــــدرة الله وردا

هـــل رأت هـــذه الخمائـــل قبلـــي

مـــن رآهـــا عينـــاً وثغـــراً وخـــدا

هـــي عنـــدي شمائـــل وعطـــور

وقلـــــوب تهـــــوى ودل يفـــــدى

أعـــشق الحـــسن دوحـــةً وغـــديرا

وبيانـــاً سمحـــاً وفجـــراً منـــدى

مـــا لـــسعد في المـوت يـــزداد قربـــاً

مـــن فـــؤادي مـــا أزداد هجـــراً وبُعـــداً

وإذا رف طيفـــــــه في خيـــــــالي

رف ريحانــــــة مـــــن الله تهـــــدى

أنـــت في خـــاطري وعـــيني وقلـــبي

وعلـــى الهجـــر لا أرى منـــك بـــداً

لـــك في مقلـــتي كنـــوز مـــن الأطيـــاف

أغلـــــى مـــــن الكنـــــوز وأنـــــدى

صـــور لوينــال مـــن حـــسنها النـــور

لكانــــت بنـــور عـــيني تفـــدى

وأصـــون الطيـــوف بـــين جفـــوني

لـــو تطبـــق الجفـــون للطيـــف رَدًّا

وأنـــا الـــصاحب الـــوفي فمـــا خنـــت

حبيبـــــاً ولا تناســـــيت عهـــــدا

* * *

٣ ـ إلى الشهداء الذين وارتهم رمال الصحراء

لا يبعـــد الله أحبابـــاً فجعـــت بهـــم
ومـــا علالـــة قلـــبي بعـــد مـــا بعـــدوا

الناشـــئون علـــى نعمـــاء مترفـــة
تقيلـــوا الرمـــل في الـــصحراء وأتـــسدوا

تلـــك الجـــسوم الـــتي حـــز الحريـــر بهـــا
حريرهـــا في العـــراء المـــوحش الـــزرد

هـــادين للمـــوت إيمانـــاُ وموجـــدة
فكلمـــا لاح منـــه منهـــل وردوا

علـــى الـــصحاصح هامـــات معطـــرة
وفي الرمـــال بنـــانٌ أفـــردت ويـــد

في كـــل منزلـــة قـــبر تلـــم بـــه
هـــوج الريـــاح وينـــأى الأهـــل والولـــد

مـــشتتون فمـــن أجـــسادهم مـــزق
علـــى الأديـــم ومـــن مـــرانهم قـــصد

مـــصارع بعطـــور الحـــق زاكيـــة
كأنمـــا ســكبوا فيهـــا الـــذي اعتقـــدوا

لا أوحـــش الله قلـــبي مـــن مواجعـــه
ولا تحـــول عـــن إيمانهـــا الحـــسد

ولا شـــفى الله جرحـــاً في ســـريرته
نـــديان ينطـــف منـــه الخمـــر والـــشهد

إنـــي أدلـــل آلامـــي وأمـــسحها
مـــسح الـــشفيق وأجلوهـــا وأنتقـــد

حتـــى تطـــل علـــى الـــدنيا بزينتهـــا
حـــسناء تحلـــو عليهـــا نعمـــة وود

مجلة الدنيا ١٠ ك١ ١٩٤٨ / العدد / ٩٤ /

* * *

الحب والله*

إحدى فرائد (بدوي الجبل) يعاتب فيها الرئيس (شكري القوّتلي) .

تـــأنّق الـــدوح يرضـــي بلـــبلاً غـــردا
مـــن جنـــة الله قلبانـــا جناحـــاه

يطـير مـا انـسجما ... حتـى إذا اختلفـا
هـــوى ولم تغـــن عـــن يـــسراه يمنـــاه

الخافقـــان معـــاً فـــالنجم أيكهمـــا
وســـدرة المنتهـــى والحـــب أشـــباه

أسمـــى العبـــادة ربٌ لـــي يعـــذبني
بـــلا رجـــاء وأرضـــاه وأهـــواه

وأيـــن مـــن ذلـــة الـــشكوى ونـــشوتها
عنـــد المحـــبين، عـــز الملـــك والجـــاه

تقـــسّم النـــاس دنيـــاهم وفتنتهـــا
وقـــد تفـــرد مـــن يهـــوى بـــدنياه

مـــا فـــارق الـــريّ قلبـــاً أنـــتِ جذوتـــه

ولا النعــــيم محبــــاً أنــــتِ بلـــواه

غمــــرتِ قلـــبي بأســــرارٍ معطــــرةٍ

والحــــب أملَكَــــهُ للــــروح أخفـــاه

ومـــا امتحنـــت خفايـــاه لأجلوهـــا

ولا تمنيــــت أن تجلــــى خفايـــــاه

الخافقـــان ــ وفـــوق العقـــل ســـرّهما ــ

كلاهمـــا للغيــــوب الحــــب: والله

كلاهمـــا انـــسكبت فيـــه ســـرائرنا

ومـــا شـــهدناه، لكنـــا عبـــدناه

أرْخــصت للـــدمع جفـــني ثـــم بـــاكره

في هـــدأة الفجـــر طيـــف منـــك أغـــلاه

وأســـكرتني دمــــوعي بعـــد زورتـــه

أطيـــف ثغـــرك ســـاقاها حميـــاه ؟

طيـــف بعـــيني كـــأس مـــن مترفـــه

لـــو لم أصـــنه طغـــى وجـــدى فعـــرّاه

حمنـــا مـــع العطـــر ورّاداً علـــى شـــفة

فلـــم نَغَـــرْ منـــه لكنـــا أغرنـــاه

تهـدّلت بـالجنى المعسول واكتنزت

والثغـر أمْلَـؤُهُ للثغـر أشـهاه

نعـبّ منـه بـلا رفـق ويُظمئُنـا

فـنحن أصـدى إليـه مـا ارتـشفناه

في مقلتيـكِ سمـاواتٌ يهدهـدها

مـن أشـقر النـور أصـفاه وأحـلاه

ورنـوة لـك راح الـنجم يرشـفها

حتـى تـرنح سـكرٌ في محيّـاه

أطـلَّ، خلـف الجفـون الوطـف موطنـه،

بعـد الفـراق فحيّـاه وفـدّاه

يـضيع عـني وسـيم مـن كواكبهـا

فحـين أرنـو إلى عينيـكِ ألقـاه

قلـبي، ولـلشقرة المغنـاج لهفتـه،

ليـت الحـنين الـذي أضـناه أفنـاه

تـضّفر الحـور غـاراً مـن مواجعـه

وتـستعير رُوءَهـا مـن خطايـاه

أغْفـين فيـه لمامـاً ثـم عـدن إلى

جنّـاتهن وقـد لملمـن ريّـاه

يـسألن باللهفـة الغـيرى علـى خجـل،

مـن فجّـر العطـر منـه حـين أدمـاه

لم تعـرف الحـور أشـهى مـن سـلافتنا

رفّ الهجـير نـدى لمـا سـقيناه

مدلّـهٌ فيـكِ : مـا فجـرٌ ونجمتـه ؟ !!

مولّـه فيـكِ : مـا قـيسٌ ولـيلاه ؟!!

مـن كـان يـسكب عينيـه ونورهمـا

لتـستحم روءاكِ الـشقر لـولاه ؟!!

سمـا بحـسنك عـن شـكواه تكرمـةً

وراح يـسمو عـن الـدنيا بـشكواه

يحـب قلـبي خبايـاه ويعبـدها

إذا تـبرأ قلـبٌ مـن خبايـاه

طفولـة الـروح أغلـى مـا أدل بـه

والحـب أعنفـه عنـدي وأوفـاه

قلـبي الـذي لـوَّن الـدنيا بجذوتـه

أحلـى مـن النـور نعمـاه وبؤسـاه

غـرٌّ، وأرفـع مـا فيـه غرارتـه

وأنـذل الحـب ــ جـل الحـب ــ أدّهـاه

لم يــــرده ألـــف جـــرح مـــن فواجعـــه
حتـــى أصـــيب بـــسهمٍ منـــكِ أرداه

يريـــد بـــدعاً مـــن الأحـــزان مؤتلقـــاً
ومـــن شـــقاء الهـــوى يختـــار أقـــساه

ســـكبت قلبـــك في وجدانـــه فـــرأت
يـــانعم مـــا شـــئت ـ لا ماشـــاء ـ عينـــاه

أنـــت الـــسراب عـــذاب وقـــده ورداً
وتـــؤنس العـــين أفيـــاء وأمـــواه

أتـــسألين عـــن الخمـــسين مـــا فعلـــت
يبلـــى الـــشباب ولا تبلـــى ســـجاياه

في القلـــب كنـــز شـــباب لا نفـــاد لـــه
يعطـــي ويـــزداد مـــا ازدادت عطايـــاه

فمـــا أنطـــوى واحـــد مـــن زهـــو صـــبوته
إلاّ تفجـــــر ألـــــف في حنايـــــاه

هـــل في زوايـــاه مـــن راح الـــصبا عبـــقٌ
كـــل الرحيـــق المنـــدى في زوايـــاه

يبقـــى الـــشباب نـــدياً في شمائلـــه
فلـــم يـــشبّ قلبـــه إن شـــاب فـــوداه

تـــزين الـــورد ألوانـــاً ليفتننـــا
أيحلـــف الـــورد أنّـــا مـــا فتنـــاه

صـــادى الجـــوانح في مطلـــول أيكتـــه
فمـــا ارتـــوى بالنـــدى حتـــى قطفنـــاه

هـــذا الـــسلاف ـــ أدام الله ســـكرته ـــ
مـــن الـــشفاه البخـــيلات اعتـــصرناه

❖ ❖

جـــلّ الـــذي خلـــق الـــدنيا وزينهـــا
بالـــشعر أصـــفى المـــصفّى مـــن مزايـــاه

نحـــن الـــذين اصـــطفاهم مـــن أحبتـــه
فلـــو تـــدار الطلـــى كنـــا نـــداماه

وشـــرفّ الـــشعر لمـــا صـــاغه ترفـــاً
فكنـــتِ نغمتـــه النـــشوى ومعنـــاه

وراح ينـــــشدنا عـــــصماءه شـــــفة
ومقلـــــة ... وجننـــــا ... فاســـــتعدناه

آمنـــت (باللـــهب القدســـي) مـــضرمه
أذكـــى الألوهـــة فينـــا حـــين أذكـــاه

تـــزيّن الـــروح قربانـــاً لفتنتـــه
وقـــد يـــضّن فتـــستجدى منايـــاه

ولــو أقــام الــضحايا مــن مــصارعها

لعـــاودت قتلـــها فيـــه ضـــحاياه

العبقريـــات وهـــج مـــن لوافحـــه

والـــشمس مجلّـــوة أحـــدى هـــداياه

والتـــائهين بهـــدى مـــن عقـــولهم

لـو يممّـوا (اللـهب القدسـيّ) مـا تـاهوا

❖ ❖

روحـــي فـــدى وثـــن مـــا كـــان أفقرنـــا

إليـــه في عـــزة النعمـــى وأغنـــاه

إن كـان يـذكر أو ينـسى فـلا سـلمت

عـــيني ولا كبـــدي إن كنـــت أنـــساه

يـا مـن سـقانا كـؤوس الهجـر مترعـة

بكـــى بـــساط الهـــوى لمـــا طوينـــاه

مـــا راعنـــا الـــدهر بـــالبلوى وغمرتهـــا

لكننــــا بالإبـــــاء المـــــرّ رعنـــــاه

إن تحمــل الحــزن لاشــكوى ولا ملــل

غـــدر الأحبـــة حـــزن مـــا احتملنـــاه

ومـا رعانـا علـى عـصف الخطـوب بنـا

هــــوى حبيــــب رعينـــــاه ونرعــــــاه

ليـــت الـــذين وهبنـــاهم ســـرائرنا

في زحمــة الخطــب أغلــوا مــا وهبنــاه

ولا وفـــــاءٌ لقلــــب حـــين نـــؤثره

حتــــى تكـــون رزايانـــــا رزايــــــاه

أشـــامت عنـــد جلاّنـــا .. ومـــا نزلـــت

إلاّ علــــى الحـــب والإيثـــار جـــلاّه

لاه، ومحـــــنتي العـــــصماء داميـــــة

راو، ومـــن لـــوعتي الـــشمّاء ســـقياه

مـــا ضـــج في قلبـــه جـــرح فكابـــده

ولا ألم بـــــه وجـــــــد فعانـــــــاه

تـــضن باللهفـــة الحـــرى جوانحـــه

والقلـــب أخـــصبه بـــالنور أســـخاه

فمــــا ترشـــفت إيمانــــا بمعبـــده

ولا شممـــــت طيوبـــــاً في مـــــصلاه

نـــاء عـــن النـــار لـــو طـــاف اللـــهيب بـــه

لـــو هجّـــت هـــذه الـــدنيا شـــظاياه

مـــا الحـــسن إلاّ لبانـــات منغمـــة

لكـــن يؤلهـــه أنّـــا عـــشقناه

قــد هــان حتــى سمــت عنــه ضـغينتنا

فمـــا حقـــدنا عليـــه بـــل رحمنـــاه

يرضـــيه أن يتـــشفى مـــن مـــدامعنا

لم نبـــكِ منـــه ولكنـــا بكينـــاه

حـــسب الأحّبـــة ذلاً عـــار غـــدرهم

وحـــسبنا عـــزّة أنّـــا غفرنـــاه

ولوعتـــاه لقلـــب لـــو تطـــاع لـــه

أمنيـــة،كنتِ أغلـــى مـــا تمنـــاه

لـــو خـــيروه كنـــوز الأرض يملكهـــا

أو رشـــف ثغـــرك كنـــزاً مـــا تعـــدّاه

يهنيـــكِ أنـــكِ في نعمـــى لمحنتـــه

وأن غـــدركِ قبـــل الـــدهر أشـــقاه

أغــضى النــدى حيــاء حــين أوهبنــا

للـــشامتين هـــوى كـــالروح صـــنّاه

حـــسن خلقنـــاه مـــن ألـــوان قـــدرتنا

فكيـــف يكفـــر فينـــا مـــن خلقنـــاه

لـــو رفّ حبـــك في بيـــداء لاهبـــة

علـــى الظمـــاء رحيقـــاً مـــا وردنـــاه

جلـــوت طيفـــك عـــن عـــيني فأســـلمه

إلى الــــدجى وإلى الإعـــصار مـــأواه

فيـــا الكنز شـــكت منـــه جـــواهره

وضـــاع عـــن نفـــسه لمّـــا أضـــعناه

صـــحا الفـــؤاد الـــذي قطعتـــه مزقـــاً

حـــرى الجـــراح وللمنـــا بقايـــاه

ومـــا ســـلاك ولا عـــزّاه عنـــكِ هـــوىً

يـــا نعـــم غـــدركِ عـــزّاه وســـلاّه

* * *

السراب

حنـــا الـــسرابُ علـــى قلـــبي يُخادِعـــهُ
بـــالوهم مـــن نـــشوة الـــسقيا ويُغْريـــه

فكيـــف رحْـــتُ، ولـــي علـــمٌ بباطلـــه
أهـــوى الـــسرابَ وأرجـــوه وأُغْلِيـــهِ

ويحَ السرابِ على الصحراء تُسْلِمُهُ
رمالُهـــا الـــسمرُ مـــن تيـــهٍ إلى تيـــهِ

يُـــزوِّرُ المـــاءَ للـــسُقْيا، ولهفَتُـــهُ
حَـــرَّى إلى مَنْهَـــلٍ يَحْنُـــو فَيَـــسْقِيهِ

جـــلا الـــنمير ومـــا ابتلـــت جوانحـــه
مـــن الـــنمير ولا ابتلَّـــتْ مآقيـــهِ

أيامُـــهُ خـــدَعٌ للركـــب ضـــاحكةٌ
ســـخراً، وللعـــدم القاســـي لياليـــه

صـرعاه لـو عرفـوا الأسـرار مـا جزعـوا
ممـــا يُعـــانونَ بـــل ممَّـــا يُعانيـــهِ

أَلا يمـــلُّ الـــسرابُ الغَمْـــرُ وَحْدَتَـــهُ

أَلا يحـــــنُّ إلى نعمــــى تُنَدِّيــــهِ

هيمـــان لهفـــان لا مـــأوى لوحـــشته

قلـبي الـذي وسـع الأَكـوانَ يُؤويـه

أبكـــي لبلـــواه تحنانـــاً ومغفـــرةً

روح الأُلوهـــةِ روحـــي حـــين أبكيـــهِ

إذا خـــدعتُ فقـــد جازيـــتُ خدعتَـــهُ

بالعـــذر أبـــسطه والـــذنبِ أطويـــهِ

أدعـو الـسرابَ إلى روحـي فقـد جُلِيَـتْ

بهـــا اللبانـــاتُ ترضـــيه وتُغْويـــهِ

لهفـــي عليـــه أسـيراً في يَـدَيْ قـدرٍ

يميتـــه كـــلَّ ليـــل، ثـــم يحييـــه

يفـيض قبـل رفيـف الجفـن زاخـرُهُ

أقلبُـــهُ جـــفَّ ؟ أم جَفَّـــتْ ســـواقيهِ ؟

مـــاءَ ولا ريُّ يَنْـــدَى مِـــنْ شمائِلِـــهِ

كأنَّـــهُ القـــولُ فاتتـــهُ معانيـــه

يـــزوِّق الحـــسنَ ألوانـــاً ومـــا عـــصفت

بروحـــه سَـــورة للحـــسن تُـــصبيهَ

هــذي مراعيــهِ عُطْــلٌ مِــنْ بَــشَاشَتِها
حنَّـــتْ لِــشَبَّابَة الراعـــي مراعيـــهِ

لــو صَــعَّد القــصَبُ الولهــانُ زَفرَتــهُ
لنَــوَّرَتْ بيـــدُهُ وأخـــضلَّ واديـــهِ

مــا للــسرابِ دنــا حتــى إذا اكتحلَـتْ
بــسحر دنيــاهُ عــيني شَــطَّ دانيــهِ

محــوتُ مــن قلــبي الــدنيا فمــا ســلمتْ
إلا طيــوفُ هوانـــا وحـــدها فيـــهِ

* * *

خالِقة

مــــن نُعْميَاتِـــكِ لـــي أَلـــفٌ منوَّعـــةٌ

وكـــلُّ واحــــدةٍ دنيـــا مــــن النـــورِ

رفَعْتِنِـــي بجنـــاحَيْ قــــدرةٍ وهــــوىً

لعـــالَمٍ مِـــنْ رؤى عينيـــكِ مـــسحورِ

تعــبٌّ مــن حــسنه عــيني فــإِنْ سَــكِرَتْ

أغفــتْ علــى سندســيٍّ مــن أســاطيرِ

أُخـــادِعُ النـــوم إشـــفاقاً علـــى حُلُـــمٍ

حـــانٍ علـــى الـــشفة اللميـــاءِ مخمـــورِ

وزار طيفُـــــكِ أجفـــــاني فعطَّرهـــــا

يـــا للطيـــوفِ الغريـــراتِ المَعـــاطيرِ

طيوبُهـــا في زيـــارات الـــرؤى نزلـــت

مـــن مقلـــتيَّ علـــى أصـــفى القـــواريرِ

كـــأن همـــسكِ في ريـــاه وشوشـــةٌ

دار النـــسيم بهـــا بـــين الأزاهـــيرِ

تنـــدى الـــبراءَةُ فيـــه فهـــو منـــسكبٌ

مـــن لغـــو طفـــلٍ ومـــن تغريـــد عـــصفورِ

رشـــفتُ صـــوتَكِ في قلـــبي معتقـــةً

لم تُعتـــصرْ وضـــياءً غـــير منظـــورِ

لـــو كنـــتِ في جَنَّـــةِ الفـــردوسِ واحـــدةً

مـــن حورهـــا لتجلـــى الله للحـــورِ

خَلَقْـــتِني مـــن صَـــباباتٍ مُدَلَّهـــةٍ

ظمـــأى الحـــنينِ إلى دَلٍّ وتغريـــرِ

فكيـــف أغفلـــتِ قلـــبي مـــن تجلـــده

لمـــا توليـــتِ إبـــداعي وتـــصويري

وكيـــف تـــشكين مـــن حـــبي غوايتَـــهُ

وأنـــت كوَّنْـــتِ تفكـــيري وتعـــبيري

وهـــل تريـــدين روحـــي هـــدأَةً ووَنـــىً

فكيـــف أنـــشأتِ روحـــي مـــن أعاصـــيرِ

ألَفْـتُ نفـسي علـى مـا صُـغْتِ جَوْهَرَهـا

يـــا غـــربتي عنـــد تحـــويري وتغـــييري

كبَّـــرْتُ للطلعـــة النـــشوى أُسَـــبِّحُها

أكـــان لله أم للحـــسنِ تكـــبيري

يــا طفلــة الــروح حبَّــاتُ القلــوب فِـدى
ذنْــــبٍ لحــــسنكِ عنــــد الله مغفــــورِ

آثامُــكِ الخَفــراتُ البــيضُ لــو جليــت
لطــــورِ موســــى لنـــدَّتْ ذروةُ الطــــورِ

كأنَّهــــــا أقحوانــــــاتٌ منــــــضَّرَة
بمخــــصبٍ عبــــقِ الريحــــانِ ممطــــورِ

يــا نجمــةً تختفــي حينــاً وتــشرق لــي
حينــــاً، أفــــانينَ تعريــــفٍ وتــــنكيرِ

لقــد هجــرْتِ أَخــاكِ الفجــرَ وانتبهَــتْ
شمــسُ الــصباحِ علــى أَنَّــاتِ مهجــورِ

مــن مــوطن النــورِ هــذا الحــسن أعرِفُــهُ
حلـــو الـــشمائلِ قدســـيّ الأســـاريرِ

ففــي الــسماء علــى مطلــولِ زرقتهــا
أرى مـــساحِبَ ذيـــلٍ منـــكِ مجـــرورِ

لا تجزعـــي مـــن مقـــاديرٍ مخبَّـــاة
حنــــا يُــــدَلِّلُنا ظلْـــمُ المقـــاديرِ

عنــدي كنــوز حنــان لا نفــادَ لهــا
أنهبتُهـــا كـــلَّ مظلـــوم ومقهـــورِ

أُعطـــي بذلـــة محـــرومٍ فـــوا لهفـــي

لـــسائلٍ يُغـــدِقُ النعمـــاءَ منهـــورِ

جـــواهري في العـــبير الـــسكب مغفيـــة

مـــن الـــونى بعـــد تغلـــيس وتهجـــيرِ

تاهـــت عـــن العنـــقِ الهـــاني فأَرشـــدها

إلى ســـــناه حــــنينُ النـــــور للنـــــورِ

* * *

الله وَالشَّاعِر

شـــادٍ علـــى الأَيْـــكِ غَنَّانـــا فأشـــجانا
تبـــارَكَ الـــشعرُ أطيابـــاً وألحانـــا

تـــرنَّح البـــانُ وأخـــضلَّتْ شمائلُـــهُ
فهـل سـقى الـشعرُ مـن صـهبائِهِ البانـا

هــل كنــتُ أملــكُ لــولا عطــر نعمتِــهِ
قلبــاً علــى الــوَهَجِ القُدْسِــيِّ نَــدْيانا

أيطمــع الــشعر بالإحــسان يغمُــرهُ
والــشعر يغمــر دنيــا الله إحــسانا

لــو شــاء عطَّــر هــذا الليــل غاليــةً
ونــضَّر الرمــل أشــواقاً وريحانــا

لــو شــاءَ نمــنمَ هــذا الــنجمَ قافيــةً
ونَغَّــمَ الفجْــر أحلامــاً وأوزانــا

لــو شــاءَ أنــزل بــدر الــتمّ فاحتفلــت
بــه النَــدامى ســراجاً في زوايانــا

ولـو سـقى الـشمسَ مـن أَحزانـهِ نـديتْ
علـى هجـيرِ الـضحى حبـاً وتحنانـا

تـضيعُ في نفـسِيَ الجَّلـى وقـد نزلَـتْ
مـن كبريـائِيَ آفاقـاً وأكوانـا

ومـا رضـيتُ بغـير الله معتـصَماً
ولا رأَيْـتُ لغـيرِ الله سـلطانا

ولا عكفْـتُ بقربـاني علـى صَـنَمٍ
أكرمّـتُ شـعري لنـورِ الله قربانـا

تبرَّجَـتْ للـشذا الأَعلـى مجامرنـا
وزيِّنـت للـهوى الأَغلـى خفايانـا

نبـع مـن النـور عرَّانـا لِمَوْجتِـه
فكحَّـلَ النـورُ أجفانـاً ووجـدانا

تفجَّـر الحـسنُ في دنيـا سـرائرنا
هـل عنـد ربـكَ مـن دنيـا كـدنيانا ؟!

حـضارةُ الـدهر طيـبٌ مـن خَلاعتِنـا
وجنَّـة الله عطـر مـن خطايانـا

مـن الغوايـةِ سلـسلنا هـدايتنا
فكـان أرشـدَنا للنـورِ أغوانـا

يـا وحــشةَ الكـونِ لـولا لحــن ســامرنا
علـــى النـــديِّ المــصفَّى مِـــنْ حُمَيَّانـــا

نُـــــشارِكُ اللّٰه، جـــــل اللّٰه، قدرَتــــــه
ولا نـــضيقُ بهـــا خَلْقـــاً و إتْقانـــا

وأيـــن إنـــسانُهُ المــصنوع مـــن حمـــأٍ
مِمَّـــنْ خلقنـــاهُ أَطيابـــاً وألحانـــا

ولـــو جـــلا حـــسنَهُ إنـــسانُ قـــدرتنا
لـــودَّ جبريـــلُ لـــو صـــغناه إنـــسانا

ولـــو غمزنـــا نجـــوم الليـــل مغفيـــةً
أفـــاق أثْرفُهـــا حـــسناً وغنَّانـــا

نـاجى علـى الطـور موسـى والنـداء لنـا
فكيـــف أغفـــل موســـى حـــين ناجانـــا

إن آنـس النـــارَ بـــالوادي فقـــد شـــهدتْ
عـــيني مـــن اللـــهب القدسِـــيِّ نيرانـــا

نطـــلُّ مـــن أفـــق الـــدنيا علـــى غَـــدِها
فتنجلـــي الراســـياتُ الـــشُّمُّ كثبانـــا

ومـــا دهتْنـــا مـــن الجبَّـــارِ عاديـــة
إلا جزينـــا علـــى الطغيـــانِ طغيانـــا

أديـــــم حـــــصْبائنا دُرٌّ وغاليـــــةٌ

مـــا أفقـــر النـــاسَ للنعمـــى وأغنانـــا

وأي نعمـــى نُرَجّيهـــا لـــدى بـــشرٍ

والله قرَّبنــــــا منـــــه وأدنانــــــا

تبكـــي الـــسماء وتبكـــي حُورهـــا جَزعـــاً

للحـــسن والـــشعر في الـــدنيا إِذا هانـــا

يـــا خـــالق القلـــب أبـــدَعْنا صـــبابَتَهُ

يـــا خـــالق الحـــسن أبـــدعناه ألوانـــا

القلـــــبُ قــــصرُكَ زيَّنَّـــــا عواريَـــــهُ

بالحـــسن حينـــاً وبالإحـــسانِ أحيانـــا

العـــاطلاتُ مـــن الأَبْهـــاءِ قـــد حَلِيَـــتْ

شـــتَّى اللبانـــاتِ أصـــناماً وأوثانـــا

قلـــب شـــكا للخيـــالِ الـــسمح وَحْـــشَتَهُ

فـــراح يغمـــزهُ نعمـــى وأشـــجانا

يـــا ســـيد القـــصرِ لولانـــا لمـــا عرفَـــتْ

أفيـــاؤه الخـــضر سُـــمَّاراً ونـــدمانا

يمنـــى الـــسراب علـــى الـــصحراء حانيـــة

تـــضاحكُ الركـــب واحـــاتٍ وغـــدرانا

قـــاع البحـــارِ أضـــاءَتْهُ عرائِـــسُنا

ونــــدَّتِ العــــدمَ القاســـي عــــذارانا

نـنـضِّر البـؤسَ عنـد البائـسين مُنَـىً

والعقـــلَ عاطفـــةً والثكـــلَ إيمانـــا

وكـــلُّ ذنْـــبٍ ســوى الطغيــانِ نُنْزِلُــهُ

علـــى جوانِحنـــا حبـــاً وغفرانـــا

وهَـــم كـــلِّ عفـــاة الأرض نَحْمِلُـــهُ

كأَننـــا أهلـــه همّـــاً وحرمانـــا

نـــشاركِ النـــاس بلـــواهم وإن بعـــدوا

ولا نـــــشارك أَدنـــــاهم ببلوانـــــا

ضـــمت محبَّتنـــا الأَشـــتاتَ واتـــسعَتْ

تحنـــو علـــى الكـــونِ أَجناســـاً وأديانـــا

ســبحانَ مَــنْ أبــدع الــدنيا فكــان لنــا

أشــهى القــوارير مــن أطيــابِ ســبحانا

ســـينطوي الكـــونُ أبحـــاراً ويابـــسةً

وأنجمـــــاً وسمـــــاواتٍ وأزمانـــــا

ســتنطوي الجنــة النــشوى فــلا مَلَكــاً

ولا نعيمـــــاً ولا حـــــوراً وولـــــدانا

يفنـــى الجميـــع ويبقـــى الله منفـــرداً
فـــــلا أنـــــيسَ لنـــــور الله لولانـــــا

لنـــا كلانـــا بقـــاءٌ لا انتهـــاءَ لَـــهُ
وســـوف يـــشكو الخلـــودَ المُـــرَّ أبقانـــا

* * *

إذا كان الشعر إعراباً عن الشعور بكلام حسن تقيده القافية، ويصوغه الذوق الجميل، ويتراجع عنه التقليد، فإن شعر بدوي الجبل يحتل الصدارة من ديوان الشعر العربي، وإذا كان الشعر على إطلاقه دفقة من شعور وموهبة، فإن بدوي الجبل هو شاعر الإلهام، وهو الشاعر الموهوب، فهو يأتي من كل أفق بمعنى، ومن كل سماء بخيال، ومن كل ظاهرة بوصف، فإنني أقدر أن أمارة الشعر صارت إليه...

تِلكَ وَاحاتنَا

سالف الشرق ملك قحطان واليومُ
لقحطان والغدُ المأمولُ

وله هذه الجبال المنيفات
وتلك الربى وهذي السهول

والسموات والكواكب في الشرقِ
لقحطان موطن وقبيلُ

والنبواتُ والفنون وملك
في شبابِ الدنيا عريض طويلُ

أريحي تكادُ تورقُ بالنعمى
لأَعدائه القنا والنصولُ

قــد ورثنــا البحــار مــن عبــد شمــس

وعليهـــــا الغــــــزاةُ والأَســـــــطولُ

أرز لبنـــــــانَ أيكــــــةٌ في ذُرانــــــا

والفراتـــــان ماؤنـــــا والنّيـــــلُ

ورياحينُنــا علـــى تــونس الخــضراء

خـــــضراءُ أيــــن منهـــا الـــذبولُ

كــلُّ روضٍ في الــشرقِ مــن دم آبــائي

منــــــدّىً معطَّـــــــرٌ مطلـــــــولُ

ولبانـــاتهم علـــى كـــل صـــحراءَ

غــــديرٌ صــــافٍ وظـــلٌّ ظليـــلُ

حيــث يحنــو الصفـصافُ نعمــى علــى

الــواني ويبكــي علــى الــشهيد النخيــلُ

كــل تكــبيرةٍ علــى الرمــل نفــحٌ

وعــــبيرٌ ســـــكبٌ وأَيــــكٌ بليـــلُ

ذُكـــــرالله فـــــا الهجيرُ شـــــفاهُ

قانيـــات والليـــلُ طـــرفٌ كحيـــلُ

لفنَّــي والــدجى علــى هــذه الــصحراء

ســـــحر منمـــــنمٌ مجهـــــول

لفنَّـــي والـــدجى فـــأَفنى كلينـــا
سَـــعَةٌ مـــن جلالِـــهِ وشَـــمولُ

أي ســـر نريـــدُ في الكـــونِ ؟ والكـــونُ
معنَّـــــى بـــــسرنا مـــــشغولُ

نحـــن كـــونٌ، لا كائنـــانِ ضـــعيفانِ
ألحَّ الهـــوى وتَـــمَّ الوصـــولُ

تلـــك واحاتُهـــا الظليلـــةُ، والظـــل
غريـــبٌ علـــى الرمـــال نزيـــلُ

زاهـــراتُ الـــسماءِ حيَّـــا بهـــا قـــوميْ
مـــن الحـــورِ في الـــسَّماءِ رَســـولُ

فعلـــى كـــل نهلـــةٍ مـــن شـــذاها
شـــفةٌ عنـــدمٌ وخَـــدٌّ أســـيلُ

وحـــنينٌ إلى الـــسماءِ كمـــا حَـــنَّ
إلى نعمـــــة الـــــشفاء العليـــــلُ

ربِّ !! روحـــي طليقـــة في سماواتـــكَ
والجـــــسم موثَـــــق مغلـــــولُ

بَعُـــدَ الغـــرقْ بـــينَ روحـــي وجـــسمي
جـــسدي آثـــم وروحـــي بَتـــولُ

أنـــت يــــا رَبِّ غايــــةٌ، وإلى الغايــــة

أنــــت الهــــدى وأنــــت الـــــسبيلُ

لـــك حـــبي ومنـــكَ حـــبي فهـــل يُعْطـــى

مــــن الــــسائل الكـــريمُ المنِيْــــلُ

لَـــك حــــبي فَهَـــلْ لِفَقْـــرِي إذَا أهـــدى

إلى كَنـــــزِكَ الغــــنيِّ قَبــــولُ

عَبَرَاتِـــــــي عِبَـــــادَةٌ وابتِهَـــــالٌ

وَشَــــهيقِي التكـــــبيرُ والتَهْليــــلُ

وصـــــلاتِي تَأمـــــل، وَمُنَاجــــاتي

خــــــشوع، وَزَفرَتِــــــي تَرتيــــلُ

وَبَلائِــــي أنَّ النَعـــيمَ الـــذِي أرجـــو

نَعـــــيمٌ مُــــــسَوَّفٌ ممطـــــولُ

لَـــمْ يَـــضعْ فِـــي الظـــلامِ نـــورك عـــن

قلـــبي، فقلـــبي إلى سَـــناكَ الـــدَّليلُ

معـــدنُ الخـــيرِ والجمـــالِ المـــصَفَّى

وجهُـــكَ الخَـــيرُ الكـــريمُ الجميـــل

وأَنـــا الـــسائل الملـــحُّ ويجلـــوُ

وحـــــشة الـــذل أنَّـــكَ المـــسؤولُ

وبيمنـــــايَ ألـــف كنـــزٍ عطايـــاك

ومـــــــا في يـــــــديَّ إلا القليـــــــلُ

ربِّ نعمـــــــاك أن تنـــــــضر قلـــــبي

بمحيـــــاك فهـــــو صـــــادٍ مَحيـــــلُ

ربِّ قلـــــبي زيَّنْتُـــــهُ لحميـــــاكَ

فمـــــر تنـــسكبْ بقلـــبي الـــشمولُ

هُيِّئَـــــتْ في ســـــريرتي لـــــك ربـــــي

ســـــدرة المنتهـــــى وطـــــاب النـــــزولُ

جـــوهر القلـــب وهـــو إِبـــداع كفيـــك

علـــــى مـــــا بـــــه كـــــريم أصـــــيلُ

وبقلـــــبي رضـــــوان يهفـــــو لمـــــرآكَ

ونـــــــدَّى ســـــــريرتي جبريـــــــلُ

* * *

الهواجس

هواجـــسي فيـــكِ إيمـــانٌ وغاليـــةٌ
وأنجـــم وَفـــراشٌ يعبـــد اللَّهبـــا

وســـالفاتُ رؤىً حـــين اشـــتهيتِ لنـــا
في البيـد خيمتَهـا الـسمراء والكتبـا

هـــواجس أنـــتِ دنياهـــا ومعـــدنها
فكيـــف تبـــدع إلا النـــور والطربـــا

النـــازلات علـــى قلـــبي ونعمتـــه
حـــوراً مـــن الأُفـــق القدســـيّ لا رِيَبـــا

المترفـــاتُ، وأحلاهـــا وأملحُهـــا
طيـف مـع الفجـر مـن أهـدابك انـسربا

روى لنـــا عنـــكِ مـــا نـــدَّى ســـرائرنا
مـن المنـى الـشقر إنْ صـدقا وإنْ كـذبا

تـــصوَّف القلـــب تـــدليلاً لـــساكنه
فمـــا شـــكا عنـــتَ البلـــوى ولا عتَبـــا

وكيف يوحش قلبي من سلافته
وقد أدرتِ عليه الحب والأدبا

يا عذبة الثغر لو طاف الخيال به
قرأتُ به في وجهكِ الاشفاق والغضبا

إذا تمنَّاكِ قلبٌ لا نجوم به
تململ الفلك الغيران واضطربا

يمد حسنك أهواء النفوس تقىً
ويسلب الخير والأطياب والشهبا

كأنه الكعبة الزهراء ما اجترحَتْ
منى الحجيج بها إثماً ولا لعِبا

غيبٌ لحبك من نعمى اليقين به
كأنني كاشِفٌ عن سره الحُجبا

بيني وبينكِ انساب موثَّقة
هذا اللهيب بقلبي خيرُها سَببَا

فلو تجلت بنعماءِ العذاب لنا
نشدْتُ عندك إلاَّ جمرَه أرَبا

لم يشهد الله قلبٌ لا لهيب به
ويشرق الله في القلب الذي التهبا

أُعيــذُ مــؤنس روحـــي بعــد وحـــشتها

أن يــــستردَّ مـــن النعمـــاء مـــا وَهَبَـــا

يـــا ضَـــيْعَةَ الـــنغم الأسمـــى ولوعتـــه

إذا محـــا الخـــالق الفنـــان مـــا كتَبَـــا

شـــفَّعت عنـــدك حـــبي في مواجعـــه

ومـــا تمـــزَّق مـــن قلـــبي ومـــا ســـلبا

أخفيــتُ ظلمــكِ عــن نفــسي لأَرحمهــا

ثـــم ابتـــدْعتُ لـــهُ الأعـــذار والـــسببا

هـــواكِ عنـــدي مقـــيم في مواطنـــه

فـــإن تحـــوَّل عـــن نعمائهـــا اغتربـــا

أحبـــك الحـــب تأليهـــاً خلعـــت بـــه

علـــى تـــدِّلهي الإجـــلالَ والرَّهبـــا

ســـكبتُ في دربِـــكِ الأطيـــابَ والهـــة

وجـلَّ كاسُـكِ عـن عطـري الـذي انسكبا

لعلــه ــ والخطــى الــشقراء تــسلكه ــ

يُعلُّهـــا مـــن حنـــيني بعـــض مـــا شـــربا

أغليــتُ نعمــى الهــوى عنــدي ومحنتــه

فَحُــبُّ مــا مُــرَّ منــه حــبُّ مــا عَــذُبا

مــدامعي فيــكِ لــو أكرمْــتِ جوهرهــا

أكرمــتِ فيهــا الهــوى والــشعر والعربـا

أُجــلُّ بابَــكِ عــن طــول الوقــوفِ بــه

فَقْــرُ الكــريم تجلَّــى صَــمْتُهُ طَلَبــا

* * *

الكعبة السَّمْراء

نائيـــةَ القطـــوفِ، كـــلُّ نجمـــةٍ
مـــن شـــفتي دانيـــةُ القطـــوفِ

ويـــا ربيعـــاً مـــن فتـــونٍ وهـــوىً
طـــافَ الربيـــعُ بـــالهوى فطـــوفي

زارت طيـــوفٌ منـــكِ ثـــم لم تَعُـــدْ
إليـــكِ ... جفـــني شَـــركُ الطيـــوفِ

ويـــا خطـــوب الـــدهر لا تُهـــوِّني
روَّضـــكِ الحـــبُّ فلـــن تُخيفـــي

كـــل لبانـــاتي طيـــوفٌ ورؤى
كـــأنهنَّ شَـــطَحاتُ صـــوفي

تحملـــني غمامـــةٌ مـــسحورةٌ
كـــالبرق عـــبرَ أُفُـــقٍ مكـــشوفِ

خمريـــة الحريـــر والـــشذا معـــاً
تعـــج مـــن منـــاي بـــالألوفِ

تُلَــــثِّمُ الأَنجـــــمَ مــــن أحلامِهـــا

بـــــالأَرجوان العَبِـــــقِ الـــــشفيفِ

علـــــى غنـــــاءٍ ورؤى ووتـــــر

ترنحـــــــت تـــــرنُّحَ النزيـــــفِ

ولا تتيـــــه في الـــــدجى غمـــــامتي

شـــوقي دليلـــي، والـــضحى رديفـــي

أســـأَلُ عنـــكِ كوكبـــاً فكوكبـــاً

بنَـــــزقِ المعـــــذَّبِ الملـــــهوفِ

الفرقـــــدان أنـــــزلاك منهمـــــا

علـــى النـــديم وعلـــى الوصـــيفِ

كعـــبتي الـــسمراء قـــد لقيتُهـــا

بـــين عويـــل الجـــن والعزيـــفِ

فلـــن تحـــن بعـــدها لوســـنٍ

عبـــادتي الـــولهى ولا عكـــوفي

أمـــرُّ فيـــه وكـــأني لم أكـــن

أفديـــه بالتليـــد والطريـــفِ

كعـــبتيَ الـــسمراء أنـــتِ قـــبلتي

علـــى بليـــل للنـــدى وريـــفِ

حــسنكِ لم يؤلــف ــــ ولا ألومـــه ــــ

تكـــــبر الحـــــسن علـــــى المـــألوفِ

تبرجــــت لـــــكِ الــــشفوف دُلّهـــاً

يـــا مــــن رأى تـــــبرُّج الــــشفوفِ

والأيـــك حــــنَّ، وانحنـــت وســــلّمَتْ

غــــصونُهُ علــــى القـــدودِ الهيــــفِ

تحيـــة القربـــى . ومـــا أَرقَّهـــا .

وحنَّـــــــةَ الأَلـــــوفِ للأَلـــــوفِ

طـــارتْ إليـــكِ كبـــدي محمولـــة

علــــى جَنــــاح الرَجـــزِ الخفيـــفِ

المـــرقص الـــسماءَ في عـــرس الهـــوى

والحــــور ينقــــرن علــــى الـــدفوفِ

النــــــاثرِ الأنجــــــمَ في فرحتـــــه

دَراهِمــــاً نهبـــأ علــــى الــــضيوفِ

وضَـــــنَّ بالــــشمس فـــضمَّ يـــده

حرصــــاً علــــى دينارِهـــا المـــشوفِ

الـــــنغم النــــاعم في اختـــــصاره

أحلـــــى مــــن المطـــوَّلِ العنيـــفِ

ورنـــــوةُ الحَيـــــيِّ ألــــفُ قـــصة
علـــى الهـــوى، وغمـــزةُ العفيـــفِ

نائيـــةَ القطـــوفِ، كـــلّ نجمـــة
في شـــــفتي دانيـــــة القطـــــوفِ

الأَقحـــــوان ثغـــــرُكِ المنـــــدَّى
ونحـــــن بـــــالعطر وبـــــالرفيفِ

دعـــي النـــصيف وأطلّـــي جنـــةً
هـــل تُـــسْتَرُ الجنـــة بالنـــصيفِ

شـــــربت أَقـــــداريَ في مـــــصفَّى
شَـــهْدِكِ حتـــى ســـكرتْ حُتـــوفي

تـــسأَلُ كـــلَّ أيكـــةٍ جارتُهـــا
عـــن قـــدك المهفهـــف النحيـــف

تمَّ رشـــــيقاً أملـــــداً ولقيـــــتْ
منـــه الفـــضولَ نَظْـــرَةُ العَنُـــوفِ

قـــدكِ والـــضمير في ســـجيةٍ
يـــــدرَك بـــــالرهيف والرهيـــــفِ

والناهـــــدان وثبـــــا كرصـــــد
علـــى الكنـــوز الحالمـــات يُـــوفي

تحالفـــــا تـــــصوُّنا وعـــــزَّةً
وامتنـــــعَ الحليـــــفُ بـــــالحليفِ

مـــــضمَّخانِ خمـــــرةً وشَـــــهداً
أهكـــــذا يـــــصمد للزحـــــوفِ

أذكـــي بقلـــبي ـــ إن خبـــا لهيبـــه ـــ
جَمْـــــرَ الغَـــضا أَو دمعـــةَ اللـــــهيفِ

هـــل يـــسمح الـــضحى بـــبعض ظلـــه
قـــــد طـــــال في هجـــــيره وقـــــوفي

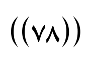
أَحمـــــل في مجـــــامري بخورَهـــــا
هديـــــــةَ المـــــــشرَّدِ الـــــــضعيفِ

ولَبِنـــــاً مـــــن فـــــضة ولَبنـــــاً
مـــــن ذهـــــب لقـــــصرك المُنيـــــفِ

تعطـــــري فهـــــذه صـــــبابتي
واكتحلـــــي فهـــــذه حـــــروفي

١٩٦٢

* * *



النّبع المسْحُور

بُــردَكِ فــوق الخــصر جــارُ الــرؤى
فخلفـــــه تطفـــــر جِنيَّتـــــانْ

شـــــيطانتانِ اصـــــطفتا جنـــــةً
قـــد تـــؤنس الجَنـــةَ شـــيطانتانْ

دارت علـــى الظمـــأى حمياهمـــا
فاللـــهو في الجنـــة طلـــقُ العنـــانْ

يـــدنيهما الـــشوقُ ولم تـــدُنوا
فهـــل همـــا نهـــدانِ أم نجمتـــانْ

تمـــوجُ ألحـــانُ الـــصبا فيهمـــا
كأنمـــا نهـــداكِ أغرودتـــانْ

عـــشَّان لا للطـــير بـــل للـــهوى
عـــشان، بـــل للطيـــب قارورتـــانْ

عنـــدي طيـــوب لـــك أعـــددتُها
عطـــرُ لبانـــاتي وعطـــرُ البيـــانْ

رشَّـــا علـــى حـــسنكِ ريَّاهمـــا
فهـــل درى عطـــرايَ مـــا يفعـــلانْ

حـــسنُكِ عطـــر العطـــرِ في جـــنتي
علـــى غِناهـــا ـــ ولبـــان اللبـــانْ

فاغـدي علـى الرمـل وروحـي، يَـضُعْ
وَرْدٌ ويفـــرُشْ طيبَـــه أقحـــوانُ

عينــاك بَحْــرٌ حــين أغفــى انحنــتْ
فلملمـــتْ أحلامَـــه الـــضفتانْ

تغفـــو بعينيـــكِ طيـــوفُ المُنـــى
عينـــاكِ للأَشـــواقِ أُرجوحتـــانْ

قلـــبي وقرطـــاكِ حليفـــا ضَـــنىً
ألم يـــئِنْ أن يتعـــب الخافقـــانْ

وخـــصلتانِ ارتاحتـــا في يـــدي
مـــن الـــدجى المخمـــور مـــسكوبتانْ

شـــذاهما بـــاقٍ وإن غابتـــا
كأنمـــا فرعـــاكِ ريحانتـــانْ

تغـــامزين البـــدرَ في موعـــدٍ
فغـــرتُ لمـــا التقـــتِ الغمزتـــانْ

تنمـــــنم الأَحـــــلامَ فـــــضيةً

وتنـــسج الـــشمس لـــكِ الأرجـــوانْ

وملكُـــكِ البـــدر وشمـــس الـــضحى

ومـــا يـــصوغان ومـــا يغـــزلانْ

قـــد بـــاح جفنـــاك بـــسر الـــدجى

جفنـــاكِ مـــن ســـر الـــدجى مُتْرَعـــانْ

تـــضحك عينـــاكِ وإنْ جَـــدَّتا

لا ســـحر في عيـــنين لا تـــضحكانْ

تنطـــق عينـــاكِ ولم تنطقـــي

وقـــد تطـــيلان وقـــد تـــوجزانْ

ألم تـــضيقا بمعـــاني الهـــوى

ألا تلومـــانِ، ألا تعتبـــانْ ؟

رشـــيقةَ الأحـــزان والقَـــدِّ، هَـــلْ

ينبـــتُ في جَمْـــرِ الغـــضا غـــصن بـــانْ

نزلـــتِ قلـــبي ســـدرة المنتهـــى

مـــا أرز لبنـــان، ومـــا الغوطتـــانْ ؟

وبيننـــا قربـــى الـــشذا للـــشذا

الحـــسن والـــشعر رضـــيعا لَبـــانْ

ترشف من نهديكِ إغفاءتي
كأسيْن قد أُترعِتا بنتَ حانْ

طافت بك الكأسُ فرنَّحتِها
وجُنَّ لمَّا شَمَّكِ الزعفرانْ

نبع الصبا المسحور[1] يشتفُّهُ
قلبي وهذا الحسن والفرقدانْ

نشتفُّهُ حتى ثمالاتِهِ
فنحن لا نفنى، ويفنى الزمانْ

نشتفُّهُ حتى يعودَ الصبا
واللمةُ السوداءُ والعنفوان

وبيتُنا في ربوةٍ سمحةٍ
حلوُ السفوح الخضر حلو الرعانْ

وغابةٍ يغفو الضحى عندها
وشمسها تغرب قبل الأوانْ

قبورنا فيها، ولا وحشة،
يؤنسها في الوحدة السنديانْ

وقبة[2] تحرس كنز الدجى
كأنها في الغابة الديدبانْ

---

[1] إشارة إلى ما ورد في الأساطير عن وجود نبع يتيح للشارب منه خلود الشباب .

والنبــــــع والقبـــــــة في هـــــــدأةٍ
يــــــسرع دهـــــــرٌ وهمـــــا وانيـــــانْ

مـــــا هــــزَّتِ الـــــدنيا أناتَيهْمـــــا
فَتُغْــــــربُ الـــــدنيا ولا يدهــــــشانْ

ولوَّحَــــتْ مــــن بعـــــض أفيائنـــــا
كفَّـــــان بالحِنَّـــــاءِ مخــــــضوبتانْ

حـــضنتُ في الـــسماءِ دنيـــا المُنـــى
حـــين التقينـــا كبَّـــرَ العالَمـــانْ

جُزنـــا حـــدود الكـــون حتـــى التقـــى
كـــلُّ مغيـــبٍ عنـــدنا بالعيـــانْ

وعـــاد للأنجـــم مـــا ضـــاع مِـــنْ
أَضـــــوائها واعتنـــــق الأزهـــــرانْ

واختـــصر الـــدنيا شـــذاً مـــسكرٌ
أو لهفـــــة عـــــذراء أو قبلتـــــانْ

بحـــت بأَســـراري، فَعبُّـــوا الـــشذا
فُـــضَّتْ عـــن الـــراح العتيـــقِ الـــدنانْ

---

[٢] قبة قديمة لأحد الأولياء الصالحين في قرية الشاعر .

مــــا غــــابَ عــــن أعراسِـــنا أهلُنـــا

الـــــشمس والأَنجــــم في المهرجــــانْ

والنـــــاس لا تعـــــرفُ أحزاننــــا

يرثـــي لنـــا الـــشوق ويبكـــي الحنـــانْ

يــــــرفعني المــــوج إلى شــــاهقٍ

وحطَّـــــني .. لا تهـــدأ الكفتـــانْ

زُلزلـــــت الأمــــواجُ زلزالَهــــا

واحتـــضَنَتْها دُجْنَـــةٌ مـــن دخـــانْ

قـــد رجَّهـــا العاصـــف حتـــى طفـــا

لؤلؤهـــا . طـــوع يـــدي . والجُمـــانْ

ومحنـــــةٌ طالَـــتْ وأكرمْتُهـــا

بالـــصَبرِ حتـــى مـــلَّ دهـــرٌ فَـــلانْ

لا يقـــنط الحــــر ولا يـــشتكي

لكـــل بحــــر هــــائجٍ شــــاطئانْ

فتَّـــشْتُ عـــن خـــوفي فَلـــم ألْقَـــهُ

كيــف أرى الخـــوف وأنْـــتِ الأَمـــانْ

قرَّبنــــا الله ففــــوقَ الزمـــانْ

نحـــن مـــع النـــور، وفـــوق المكـــانْ

يُـــــــضَوِّيءُ الظلمـــــــةَ إيمانُنـــــــا

ويُـــــــسكر الفجـــــــرَ رحيـــــقُ الآذانْ

نحـــــــن وقلبانـــــــا وأَســـــــرارُنا

شـــــــوقٌ إلى الله وأغنيتـــــــانْ

أوَجْهُـــــــهُ أم بيْتـــــــه قـــــــبلتي

أســـــــتغفر الله فلـــــــي قبلتـــــــانْ

نريـــــد جمـــــراً لبخـــــور الهـــــوى

في النـــار هـــذا الجمـــر، لا في الجِنـــانْ

صـــــلاتنا النـــــورُ فمـــــن وَهْجهـــــا

شَـــعَّ الـــضحى، وائتلـــق الـــنيرانْ

مِـــنْ ورْدنـــا (الزهـــرة) تـــسبيحةٌ

والـــصبح والنجمـــة تكبيرتـــانْ

تغمزنـــي الـــشمس عِنـــاقَ الهـــوى

فلفَّـــني مِـــنْ فرعهـــا خـــصلتانْ

وجهـــي ـــ ولم تخـــدع أســـاريره ـــ

والقلـــبُ مرآتـــان مجلوَّتـــانْ

كتبـــتُ (بـــسم الله) فـــالطرس مـــن

عـــدْن (وبـــسم الله) حوريتـــانْ

لم يَعْـــــنِني عـــــسرٌ ولا غربـــــة

اللّه والحـــــسن همــــا المــــستعانْ

عرَّيْــــتُ فقـــري عنــــد بابَيْهمــــا

وتعـــذب الـــشكوى، ويحلـــو الهـــوانْ

* * *

في مهرجَان المعرّي

حَلِيَ النديُّ كرامةً للراحِ
عجباً أَتسكرنا ؟ وأنت الصاحي

لكَ في السرائر بدعةٌ مرموقة
أنس المقيم وجفْوة النزَّاحِ

مجد كآفاقِ السماء إذا انتهت
منه نواحٍ بادَهَتْ بنواحِ

الدهر ملك العبقرية وحدها
لا ملك جبار، ولا سفَّاحِ

والكون في أسراره وكنوزه
للفكر، لا لوغىً ولا لسلاحِ

ذَرَتِ السنون الفاتحين كأَنهم
رمل تناوله مهبُّ رياحِ

لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها
إلا بفكر كالشعاع صرحِ

خـــير العقائــــد في هــــواي عقيـــدةٌ
شمـــــــاء ذات توثـــــــبٍ وجمـــــــاحِ

شـــرفُ العقيـــدة أن تكـــون جريحـــةً
فبَـــــدارِ قِـــسْطَكَ مِـــن أذىً وجـــراحِ

وأحمــــل بكفَّيـــك الحيـــاة تحـــدياً
منهـــــا لأَوَّلِ معتــــــدٍ في الـــــساحِ

لا تَـــشْكُ مـــن قِـــصَرِ الحيـــاة فربمـــا
أغنــــت إشـــــارَتُها عَـــــنِ الإفـــصاحِ

وأنـــا الـــذي وســـع الهمـــومَ حنانُـــهُ
وبكــــى لكـــــل معــــذَّبٍ ملتـــــاحِ

أشـــقى لمـــن حمـــل الـــشقاءَ كأنمـــا
أتـــراحُ كـــل أخـــى هـــوىً أتراحـــي

غـــسل الأســـى قلـــبي وحـــسبُكَ بالأَســـى
مـــن غاســـلٍ حقـــدَ القلـــوب ومـــاحي

وَوَدِدْتُ حــــين هـــوى جنـــاحُ حمامَـــةٍ
لـــو حلَّقَـــتْ مـــن خـــافقي بجنـــاحِ

أعمــــى تلفَّتـــت العـــصور فمـــا رأَتْ
عنـــد الـــشموسِ كنـــوره اللَّمـــاحِ

نفـــذت بـــصيرتُهُ لأَســـرارِ الـــدجى
فتبرجـــت منهـــا بـــألفِ صـــباحِ

مَـــنْ راح يحمـــل في جوانحـــه الـــضحى
هانـــت عليـــه أشـــعةُ المـــصباحِ

أمـــصوِّرَ الـــدنيا جحيمـــاً فـــائراً
يرمـــي العـــصورَ بجمـــره اللَّفـــاحِ

هـــوِّنْ عليـــك ففـــي النفـــوس بقيـــةٌ
مـــن رحمـــة ومـــروءة وسمـــاحِ

خلـــف الهجـــير وعنفـــه ولهيبـــهِ
مـــا شـــئتَ مـــن ظـــل، وطيـــب نِفـــاحِ

ضـــجَّتْ ملائكـــة الـــسماء بـــساخرٍ
مُـــرٍّ الدعابـــة شـــاتمٍ مـــدَّاحِ

عَـــرَّى الـــسرائرَ والنفـــوس ممزقـــاً
عـــنهنَّ كـــل غلالـــة ووشـــاحِ

إنْ يَقْـــسُ في نقـــد الطبـــاع فلـــم تكـــن
ترجـــى لرحمتِهـــا يـــدُ الجـــرَّاحِ

إيـــهٍ رهـــينَ المحبـــسين ألم يَـــئِنْ
إطـــلاقُ مأســـورٍ وفـــكٌّ سَـــراحِ

ظفــرت برحمتــكَ الحيــاةُ، وصــنتَها

عــن كــل ناعــسةٍ الجفــون رَدَاح

أتــضيقُ بــالأنثى وحبُّــكِ لم يَــضِقْ

بــالوحشِ بــين سباســبٍ وبطــاحِ

يــا ظــالِمَ التفّــاحِ في وجناتهــا

لــو ذقــتَ بعــضَ شمائــل التُّفــاحِ

عطــرٌ أحــبُّ مــن المُنــى وغلالــة

بــدع فمــن وهــج ومــن أفــراحِ

هــي صــورة لله جــلَّ جلالــه

عــزَّتْ نظائرهــا علــى الأَلــواحِ

ليــت الهمــومَ العبقريــةَ هُدْهِــدَتْ

بحنــانِ طيِّبــة اللمــى ممــراحِ

لــو أنهــا نزلــت علــى نعمــى الهــوى

نزلــت مدلَّلــةً بــأَكرم ســاحِ

مــا أوْسَــعَ العقــلَ الحكــيم، وهمّــه

وســع الحيــاة لــصبوةٍ ومِــراحِ

ولمــن تــدلله وتــسكر روحــه

عنــد الهجــير بظلــها النفَّــاحِ

أنثـــى إذا ضـــاقت ســـريرة نفـــسه
طلعـــتْ بآفـــاقٍ عليـــه فِـــساحِ

للعبقريـــة قـــسوةٌ لـــولا الهـــوى
عـــصفتْ بكـــل عقيـــدةٍ وصـــلاحِ

مـــا للـــشراع علـــى العواصـــف حيلـــةٌ
إن لم تـــصرِّفْهُ يـــدُ المـــلاَّحِ

إيـــهٍ حكـــيمَ الـــدهرِ أيُّ مليحـــةٍ
ضـــنَّتْ عليـــك بعطرهـــا الفـــوَّاحِ

أســـكنْتَها القلْـــبَ الـــرحيمَ فرابَهـــا
مـــا فيـــه مـــن شـــكوى ورجـــعِ نُـــواحِ

جَرَحَـــتْ إبَـــاءَك والحيـــاءَ فـــأقفلا
بـــابَ المُنـــى ورميْـــتَ بالمفتـــاحِ

لـــو أَنـــصفَتْ لـــسَقَتْكَ خمـــرةَ ريقهـــا
سُـــكرَ العقـــولِ وفتنـــةَ الأرواحِ

ولأَســـعفَتْكَ علـــى الهـــوى بمعطّـــرٍ
بالحـــسن لا بـــشقائقٍ وأقـــاحِ

لا تُخْـــفِ حُبَّـــكَ بالـــضّغينة والأذى
الحـــبُّ جـــوهَرُ حِقْـــدِكَ الملتـــاحِ

وأطِلْ هِجاءَكَ ما تشاءُ فخلفهُ
غُررٌ منضرة مِنَ الأمْداحِ

العبقريةُ والجمال تحدَّرا
من نبعةٍ وتسلسلا من راحِ

أَخوان ما طلع الضحى لولاهما
إلاّ على العبراتِ والأتراحِ

الظالمانِ المالكانِ ونعمةٌ
ما أسلفا من ذلةٍ وجُناحِ

إنَّ التي حرمتْكَ نعمةَ حبِّها
ـ وأبيكَ ـ عارُ كواعبٍ ومِلاحِ

لو كانَ في يَديَ الزمانُ وسِرُّهُ
وأعنَّةُ الإمساءِ والإصباح

لأَعَدْتُها بعد الردى مجلوَّةً
بشبابها وجمالها الفضَّاحِ

في مشهد تكسو الوفود رحابَهُ
ويغصُّ بالغادين والروَّاحِ

فنزعْتُ فتنتَها وسَحر جفونها
ومحوتُ نور جبينها الوضَّاحِ

ونشـــرتُ جـــوهر ثغرهـــا مـــن عقـــده

فـــصحاحُهُ العَطـــرَاتُ غـــيرُ صِـــحاحِ

وردَدْتُ للـــــسبعين ريـــــقَ عمرهــــا

والحاليـــات مـــن الـــصِبا المِمْـــراحِ

وجلـــوْتُ مرآتـــي فنـــدَّتْ صـــرخةٌ

كلمـــى وغَطَّـــتْ خِزْيهـــا بـــالراحِ

حتـــى إذا أَتممْـــتُ ذلـــك كلَّـــهُ

أشـــرفْتُ أنظـــر نظـــرة المرتـــاحِ

فثـــأَرتُ مـــن ظلـــم الجمـــال وربَّمـــا

شمتَـــتْ جـــراحٌ في الثـــرى وأَضَـــاحِ

وإِذا رأيْتـــكَ ضـــقْتَ فيـــه تنكـــرتْ

للجِـــدِّ منـــه دعـــابتي ومِزاحـــي ...

* * *

عِندَ الغُرُوب

قـال لـي والربيـعُ غـافٍ علـى الزّهـرِ
يـذيعُ الأحـلام عطـراً ونَـدًّا

والغـروبُ النـدِيُّ في الغوطـةِ المعطـارِ
يحنـو علـى الظـلالِ فتنـدى

وقطيـعٌ مـن الـشياهِ ورُعْيـانٌ
وأغنيـةٌ تـرقُّ فـتردى:

مـا أحَـبَّ الحيـاةَ في غوطـةِ الـشامِ
وافْجـعْ بـالموتِ هجـراً وفقـدا

أيُّ وِرْدٍ للحـسن تـشتفُّه عـيني
ويبقـى بقـدرةِ الله وِرْدا

هـل رأتْ هـذه الخمائِـلُ قبلـي
مَـنْ رآهـا عينـاً وثغـراً وخـدًّا

هـــــي عنـــــدي شمائــــلٌ وعطــــورٌ
وقلـــــــوبٌ تهـــــــوى وَدَلٌّ يفَـــــــدَّى

أعـــشقُ الحــــسنَ روضـــــةً وغـــــديراً
وبيانـــــاً سمحـــــاً وفجـــــرتً منـــــدًّى..

* * *

خمرة الأحزان

سَكبْتُ في الكأس أشجاني فتلكَ يدي
مـن عـبءِ مـا حملْتُـهُ الكـأس ترتعِـدُ

يـا شـاعراً زحـمَ الـدنيا بمنكبـه
كالـسيل يهـدأ حينـاً ثـم يطَّـرِدُ

تراقـصَتْ في لهيـبٍ مـن قريحتِـهِ
ثلـوجُ لبنـانَ والأمـواجُ والزَبَـدُ

وللـهوى ألـفُ قـصرٍ في جوانحـه
وكـلُّ قـصرٍ لـه مـن عبقـرٍ رَصَـدُ

وفي العقيـقِ علـى الـوادي وضـفَّتهِ
حَنَـتْ وحنَّـتْ قـوافٍ كالـضحى شُـرُدُ

فمـن نـسيبٍ كمـا ناحَـتْ مطوَّقـةٌ
والفجـرُ يـسرعُ والظلمـاءُ تَتَّئِـدُ

ومِـنْ حمـاسٍ إذا ريعـت عرينـه
كمـا يزمجـر دون الغابـة الأَسَـدُ

مــن كــل مُبرقــةٍ بــالحق مُرعــدةٍ

كــالموج في العاصـف المجنـون يحتـشدُ

بــيني وبينَــكِ عهــدُ الأوفيــاء فَهــل

أدَّى المحبــون للأحبــابِ مــا وَعَــدُوا

عهـدٌ علـى(إهـدن) الخـضراء، نبعتُهـا

والــشعرُ والبــدر حُفَّــاظٌ لمــن شــهدوا

أبــا الكواكــب عهــدي أنــت تعرفــه

لا ينطـوي العهـد حتـى ينطـوي الأَبَـدُ

لبنــان، يــا حلــم الفــردوس، أبدَعَــهُ

علــى غــرار ذراك الواحــدُ الــصَمدُ

وزاهــــدين بحــــسنٍ أنــــت غُرَّتــــهُ

لــو آمنــوا بجمــالِ الله مــا زهــدوا

كأنَّمــا الــشمُّ مــن لبنــانَ في ســفرٍ

البــــدر يَقــــرُبُ والغــــبراءُ تبتعِــــدُ

الحــــسنُ منــــسجمٌ فيــــهِ ومختلــــفٌ

والحــــسن مجتمــــعٌ فيــــهِ ومنفــــردُ

جــرى ســنى البــدر مــاءً في خمائلــه

فرحــــتُ بالموجــــةِ الزهــــراءِ أبــــتردُ

يا سَامِرَ الحَيِّ

يــا سَــامِرَ الحَــيِّ هــل تعنيــكَ شــكوانا
رقَّ الحديـــــدُ ومــــا رَقــــوا لبلوانــــا

خـــلِّ العِتـــابَ دموعـــاً لا غنـــاء بهـــا
وعاتـــبِ القـــوم أشـــلاءً ونيرانــــا

آمنْــتُ بالحقــد يــذكي مــن عزائمنــا
وأبعــــد الله إشــــفاقاً وتحنانــــا

ويْـل الـشعوبِ الـتي لم تَـسْقِ مـن دَمِهـا
ثاراتهـــا الحمـــرَ أحقـــاداً وأضـــغانا

أذكــى مــن الطيــبِ ريحانــاً وغاليــةٌ
مــا ســال مــن دم قتلانــا وَجرْحانــا

يُعطــي الــشهيدُ فــلا واللهِ مــا شــهدَتْ
عــيني كإحــسانهِ في القــوم إحــسانا

وغايــةُ الجــودِ أن يَـسقي الثـرى دَمــهُ
عنــد الكفــاحِ ويلقـــى الله ظمآنــا

والحـق والـسيف مـن طبـعٍ ومـن نَـسَبٍ

كلاهمـــا يتلقـــى الخطـــب عُريانـــا

مـــا للـــسفينة لم ترفـــعْ مراســـيها

ألم تهيـــئ لهـــا الأقـــدارُ ربَّانـــا

شُـــقِّي العواصـــفَ والظلمـــاءُ جاريـــةٌ

باســـم الجزيـــرةِ مجرانـــا ومرســـانا

ضـمني الأعاديـب مـن بـدوٍ ومـن حـضرٍ

إنـــي لألمـــحُ خلـــف الغـــيمِ طوفانـــا

* * *

أَنَا أَبكِي

أنـــا أبكـــي للَّيـــل أوْحَـــشَهُ البـــدْرُ
وللقلـــــبِ هَـــــدَّهُ الحِرْمـــــانُ

أنـــا أبكـــي للـــهمِّ يـــأوي إلى القلـــب
فيقـــــسو علــــى الغريـــبِ المكــــانُ

أنـــا أبكـــي للعـــينِ لا تـــدركَ الحـــسنَ
وللحـــــسنِ فاتَـــــهُ الإحــــسانُ

أنـــا أرثـــي للمترفـــين فمـــا يبـــدعُ
إلاَّ الــــــــشقاءُ والأحــــــزانُ

وأنــــا المــــترف الأنيــــق، ولكــــنْ
تـــــربي صــــاغ فَنَّــــهُ الرحمــــانُ

أنــــا أبكــــي لكــــل قيــــدٍ فــــأُبكي
لقريــــــــضي تغلُّــــــــهُ الأوزانُ

أيهــــا الكــــافرون هــــذي دمــــوعي
مــــن رســــالاتِ وَحْيهــــا الإيمــــانُ

أيهـــا المـــذنبونَ هـــذا فـــؤادي
مــــن معـــاني جراحِـــهِ الغُفـــرانُ

مـــن همـــومي مـــا يـــنعم العقـــل في
دنيـــا أســـاه ويهنـــأ الوجـــدانُ

مــن همــومي مــا يغمــر الكــونَ بــالعطر
ومنهـــا مزاهـــرٌ وقيـــانُ

وهمـــومي معطـــراتٌ، عليهـــا
مــــن شـــبابي الطمـــوحُ والريعـــانُ

كـــالغواني لكـــل عـــذراءَ لـــونٌ
مــــن جمـــالٍ ونفحـــة وافتتـــانُ

لم أضـــقْ بـــالهموم قلبـــاً وهـــل ضـــاقَ
بـــشتى عطـــورِهِ البـــستانُ

والهمـــومُ الحـــسان تفعـــل في الأنفـــس
مـــا تفعـــل الغـــواني الحِـــسانُ

وأنـــا الوالـــدُ الـــرحيمُ، وأبنـــائي
همـــومُ الحيـــاةِ والأشـــجانُ

وأُعـــيرُ الحـــزينَ ســـحر بيـــاني
فيعزّيـــهِ لـــو يُعـــارُ البيـــانُ

شقرَاء

هَدْهِـــــدْ همومَــــــكَ عنـــــديْ
علــــى حيـــــائي وصـــــدِّي

حُـــــوْرُ النعـــــيم تمنَّـــــتْ
نعمـــــى هـــــوايَ ووجـــــدي

هــــل عنـــــدهنَّ رحيقـــــي
وهـــــل لـــــديهن شـــــهدي

تـــــــأنَّقَ اللهُ دهـــــــــراً
يُعيـــــــــدُ فيَّ ويُبـــــــدي

حتـــــى جلانـــــيَ شـــــعراً
يـــــا حـــــسرةَ الـــــشعر بعـــــدي

خيالُـــــهُ الـــــسمْحُ نَـــــدَّى
ثغـــــري ونمـــــنم عِقـــــدي

وقلبُـــــه كـــــان كأســـــي
وجفنـــــه كـــــان مهـــــدي

والأنجـــــمُ الزْهـــــر حـــــولي
دُمـــــــىً للـــــــهوى وعَـــــــدِّي

فغـــــارَتِ الحـــــور مـــــني
وكـــــــل زهـــــوٍ مجـــــدِ

وهـــــــبَّ في روض عـــــــدنٍ
علـــــيَّ عاصِـــــفُ حقـــــد

فكـــــــان لله حكـــــمٌ
لـــــــشقوتي ولـــــــسعدي

دنيـــــاي أحلـــــى وأغلـــــى
مـــــن ألْـــــفِ جنـــــةِ خلـــــد

يـــــا شـــــاكياً زور وعـــــدي
أحلـــــى مـــــن الوصـــــل وعـــــدي

كـــــلُّ المحـــــبين ملكـــــي
وأنـــــت وحـــــدك نِـــــدِّي

وكبريـــــاءُ جمـــــالي
تريـــــد منـــــك التحـــــدِّي

شـــــقراءُ يـــــا لـــــونَ حـــــسنٍ
محبَّـــــبٍ مـــــستبدِّ

ويـــــا جمـــــــالاً غريبـــــــاً

علـــــــى ظِبــــــــاءٍ مَعَــــــــدٍّ

لا وســـــــمُ لـــــــيلاي فيـــــــه

ولا ملامـــــــــــح هنـــــــــــدي

ظمـــــــــــآن أَنـــــــــــشد وِرداً

وعنـــــــــــد عينيـــــــــــكِ وردي

يـــــا ســـــكرةً بعـــــد صـــــحوٍ

وفتنـــــــــةً بعـــــــد رشـــــــدِ

يـــــا رغبَـــــة العـــــين والقلـــــب

بعـــــــد يـــــــأس وزهـــــــدِ

بـــــــيني وبينـــــــك حـــــــربٌ

وهـــــــــــول أَخـــــــــــذ وردٍّ

صـــــــراعُ روحـــــــينِ فيـــــــه

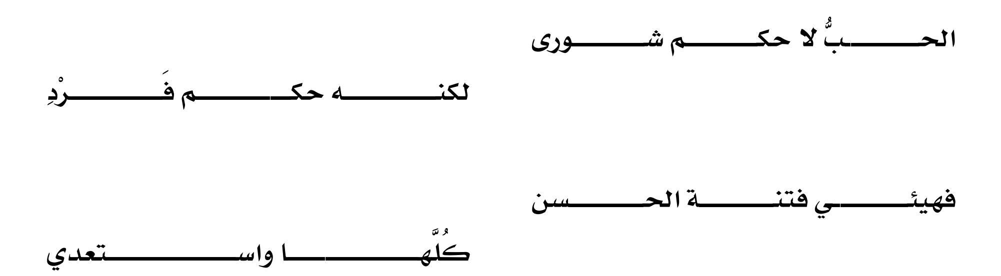
عُنْـــــــفُ العـــــــدوِّ الألَـــــــدِّ

وغـــــــزوُ قلْـــــــبٍ لقلـــــــبٍ

فـــــــتحٌ يُبيـــــــد ويُـــــــردي

فَنـــــــاءُ دنيـــــــا بـــــــدنيا

وطـــــــيٌّ بَنْـــــــدٍ بِبَنْـــــــدِ



الحـبُّ لا حكـم شـورى   لكنـه حكـم فَـرْدِ

فهيئـي فتنـة الحـسن   كُلَّهـا واسـتعدي

١٩٥٤

* * *

البلبُل الغريب

مهداة إلى حفيدي محمد

سـلي الجمـر هـل غـالى وجُـنَّ وعـذَّبا
كفـــرتُ بـــه حتـــى يـــشوقَ ويعِـــذُبا

ولا تحـــرميني جـــذوةً بعـــد جـــذوة
فمـا أخْـضَلَّ هـذا القلـب حتـى تَلـهَّبا

ومـــا نـــال معنـــى القلـــب إلا لأنـــه
تمـــرغ في ســـكب اللظـــى وتقلبـــا

هبـــينيَ حزنـــاً لم يَمُـــرَّ بمهجـــةٍ
فمـا كنـت أرضـى منـك حزنـاً مجرَّبـا

وصـوغيه لـي وحـدي فريـداً وأشـفقي
علـــى ســـره المكنـــون أن يتـــسربا

مَـــصوناً كـــأَغلى الـــدر عـــزَّ يتيمُـــه
فـــأودعَ في أخفـــى الكنـــوز وُغِّيبـــا

وصـــوغيه مـــشبوب اللظـــى وتخيَّـــري
لآلامـــه مـــا كـــان أقـــسى وأغْربـــا

وصـــوغيه كالفنـــان يبـــدع تُحفـــة
ويرمقهـــا نـــشوان هيمـــانَ مُعْجَبَـــا

فيمـــا الحـــزن إلا كالجمـــال، أَحبُّـــهُ
وأترفُـــه مـــا كـــان أنـــأى وأصـــعبا

خيالـــك يـــا سمـــراء مـــرَّ بغـــربتي
فحيَّـــا ورحّبْنَـــا بغـــالٍ ورَّحبـــا

أرى طيفك المعسول في كل ما أرى
وحـــدْتُ ولكـــنْ لم أجـــد منـــه مَهْرَبـــا

شـــكونا لـــه الـــسمراء حتـــى رثـــى لنـــا
وجرَّأنـــا حتـــى عتبنـــا فأَعتبـــا

ونـــاولني مـــن أرز لبنـــانَ نفحـــةً
فعطّـــر أحزانـــي ونـــدَّى وخَـــضَّبا

وثنَّـــى بريّـــا الغـــوطتين يُـــذيعها
فهدهـــد أحلامـــي وأغلـــى وطيَّبـــا

وهـــل دللَـــتْ لـــي الغوطتـــان لبانـــةً
أحـــبَّ مـــن النعمـــى وأحلـــى وأعـــذبا

وسـيماً مـن الأطفـال لـولاه لم أخـف
ــ علـى الـشيب ــ أن أنـأى وأن أتغربـا

تـودُّ النجـوم الزهـر لـو أنَّهـا دُمـى
ليختـارَ منهـا المترفـاتِ ويلعبـا

وعنـدي كنـوزٌ مـن حنـانٍ ورحمـةٍ
نعيمـي أن يُغْـرى بهـنَّ وينهبـا

يجـور وبعـض الجـور حلـوٌ محبـب
ولم أر قبـل الطفـل ظلمـاً محبَّبـا

ويغـضب أحيانـاً ويرضـى، وحـسبنا
مـن الـصفو أن يرضـى علينـا ويغـضبا

وإن نالـه سـقمٌ تمنيـتُ أنـني
ــ فـداءً لـه ــ كنـت الـسقيم المعـذَّبا

ويـوجز فيمـا يـشتهي، وكأَنـه
بإيجـازه دَلاًّ أعـاد وأسـهبا

يـزف لنـا الأعيـاد، عيـداً إذا خطـا
وعيـداً إذا نـاغى، وعيـداً إذا حبـا

كزُغْـبِ القطـا لـو أنـه راح صـادياً
سـكبْتُ لـه عـيني وقلـبي ليـشربا

وأُوثِــــرُ أن يَــــرْوى ويـــــشبع ناعمـــــاً
وأظمـــأ في النعمـــى عليـــه وأســـغبا

وألـــــثم في داجٍ مــــن الخطـــب ثغـــره
فـأَقطف منــه كوكبــاً ثــم كوكبــا

ينـــام علـــى أشـــواق قلـــبي بمهـــده
حريـــراً مـــن الوشـــي اليمـــانيِّ مـــذهبا

وأُسْـــــدِلُ أجفـــــاني غطـــــاءً يُظلـــــهُ
ويـــا ليتهـــا كانـــت أحـــن وأحـــدبا

وحملـــني أن أقبـــل الـــضيم صـــابراً
وأرغـــب تحنانـــاً عليـــه وأرهبـــا

فأَعطيـــتُ أهـــواء الخطـــوب أعـــنتي
كما اقتدْتَ فحلاً معرق الزهوُ مصعَبا

تـــأَبى طـــويلاً أن يُقـــادَ .. وراضـــه
زمـــانٌ فَرَاخـــى مـــن جمـــاح وأصـــعبا

تـــدلَّهْتُ بالإيثـــارِ كهـــلاً ويافعـــاً
فدلَّلْتُـــهُ جَـــدّاً وأرضـــيتُهُ أبـــا

وتخفـــق في قلـــبي قلـــوبٌ عديـــدة
لقـــد كـــان شِـــعباً واحـــداً فتـــشعَّبا

ويــا ربِّ مــن أجـل الطفولــة وحــدها
أفــضْ بَركــاتِ الــسلم شــرقاً ومغربـا

ورُدَّ الأذى عــن كــل شــعبٍ وإن يكــن
كَنُــوداً، وأحببــه وإن كــان مــذنبا

وصُــنْ ضــحكةَ الأطفــالِ يــا ربُّ إنهــا
إذا غــرَّدت في مــوحش الرمــل أعــشبا

ملائــكُ لا الجنــات أنجــبن مثلــهم
ولا خلــدها ـــ أســتغفر الله ـــ أنجبـا

ويــا ربِّ حبــب كُــلَّ طفــلٍ فــلا يَــرى
وإن لجَّ في الإعنـــاتِ وجهـــاً مقطبـــا

وهيــئ لـــه في كــل قلــبٍ صــبابةً
وفي كــل لقيــا مرحبــاً ثــم مرحبــا

ويـــا ربِّ إن القلــوب ملكــك إن تــشأْ
رددْتَ محيــل القلــب ريَّــانَ مُخَــصبا

ويـــا ربِّ أحزانـــي وضـــاءٌ كـــأَنني
ســـكبت علـــيهنَّ الأصـــيلَ المُـــذَهبا

ترصَّــد نجــمُ الــصبح مــنهنَّ نظــرةً
وأشـــرف مـــن عليائـــه وترقبـــا

فأرخيـــــتُ آلاف الـــــسّتور كـــــأنني
أمــد علـــى حـــالٍ مـــن النـــور غَيهبـــا

فغـــوَّر نجـــم الـــصبح يأْســـاً ومـــا رأى
ــ علــى طُهــرِهِ ــ حتــى بنانــاً مُخــضَّبا

وقـــد تَبْهَـــرُ الأحـــزانُ وهـــي ســـوافرٌ
ولكـــــنَّ أحلاهُـــــنَّ حُـــــزنٌ تَنَقَّبَــــا

ويـــا ربِّ عِـــزٍّ مـــنْ أميـــة لا أنطـــوى
ويـــا ربِّ نـــورٌ وَهـــجَ الـــشرق لا خبـــا

وأعــشق بــرق الــشامِ إن كــان ممطــراً
حنونـــاً بـــسقياه وإن كـــان خُلبَـــا

وأهــوى الأديــمَ الــسمح ريَّــانَ مُخــصباً
ســـنابلُه نـــشوى، وأَهـــواه مُجـــدِبا

مـــآربُ لـــي في الربـــوتين ودُمَّـــرٍ
فمــن شــمَّ عطــراً شــمَّ لــي فيــه مأْربــا

ســقى الله عنـــد اللاذقيـــة شـــاطئاً
مُراحـــاً لأحلامـــي ومغنـــى وملعبـــا

وأرضـــى ذُرى الطـــوْدِ الأَشـــمِّ فَطَالَمـــا
تحـــدَّى وســـامى كـــل نجـــمٍ وأتْعَبـــا

وجــادَ ثــرى الــشهباء عطــراً كأَنَّــهُ
علــى القبْــر مــن قلــبي أُريــق وذُوِّبــا

وحيَّــا فلــم يخطــئ حمــاةَ غمامــةً
وزفَّ لحمـــص العـــيشَ ريَّـــانَ طيبـــا

ونـــضَّر في حـــورانَ ســـهلاً وشـــاهقاً
وبـــاكر بـــالنعمى غنيـــاً ومُتْرِبـــا

وجلجـــل في أرض الجزيـــرة صـــيِّبٌ
يُـــزاحِمُ في الـــسقيا وفي الحـــسن صـــيِّبا

ســـحائبُ مـــن شـــرق وغـــرب يَلُمُّهـــا
مـــن الـــريح راعٍ أهـــوج العنـــفُ مُغْـــضبا

لـــه الـــبرقُ ســـوط لا تنـــدُّ غمامـــة
لتـــشرُدَ إلا حـــزَّ فيهـــا والُهبـــا

يؤلفهـــا حينـــاً وتطفـــر جُفَّـــلاً
وحـــاول لم يقـــنط إلى أن تغلَّبـــا

أنحـــنَ علـــى طـــول الـــسماء وعرضـــها
يـــزاحم منهـــا المنكـــبُ الـــضخمُ منكبـــا

فَلَـــمْ أدْرِ هـــل أمَّ الـــسماء قطيعُـــهُ
مـــن الغـــيم أم أمَّ الخِبـــاءَ المطنَّبـــا

تـــــبرَّج للــــصحراء قبــــل انـــــسكابهِ

فلـــو كـــان للـــصحراء ريـــق تَحلَّبــــا

وتعـــذر طـــلَّ الفجـــر لم يُـــرْوِ صـــادِياً

ولكنَّـــــه بـــــلّ الرمـــــال ورطّبَــــــا

ويُـــسْكرها أن تـــشهد الغـــيم مُقـــبلاً

وأن تـــــــــــتملاَّه وأن تترقبـــــــــــا

كـــأنَّ طبـــاعَ الغيـــد فيـــه فـــإن دنـــا

قلـــيلاً نـــأى حتـــى لقـــد عـــزَّ مطلبـــا

ويُطمعُهـــا حتـــى إذا جـــنَّ شـــوقها

إليــــه أنْثَنـــى عـــن دَرْبهـــا وتَجنَّبـــا

تَعُــــدُّ ليــــالي هَجْــــرهِ، وســــجيَّةٌ

بكـــل مـــشوقٍ أن يَعـــدَّ ويَحـــسُبَا

ويبـــدَهُ بالـــسقيا علـــى غـــير موعـــد

فمــــا هـــي إلاَّ (لمحـــةٌ) وتـــصبَّبا

كـــذلك لطـــفُ الله في كـــل محنـــةٍ

وإن حَـــشدَ الـــدهرُ القَنـــوطُ وألَّبـــا

إلى ان جَلاهــــا كالكعـــــاب تزينــــتْ

لتُحْـــسَدَ مـــنْ أترابهـــا أو لتُخطبـــا

ومــــرَّتْ علـــى سُـــمْر الخيـــام غمامـــةٌ
تجـــرُّ علـــى صـــادٍ مـــن الرمـــال هَيُـــدَبا

نطـــاف عِـــذاب رشـــها الغـــيمُ لؤلـــؤاً
وتبُـــراً فمـــا أغنـــى وأزهـــى وأعجبـــا

وطـاف الغمـام الـسمحُ في البيـد ناسـكاً
إلى الله في ســـــقيا الظمـــــاء تَقرُّبـــــا

عواطــــل مـــرَّ المـــزنُ فـــيهنَّ صـــائغاً
ففـــضَّضَ في تلـــك الـــسهول وذَهَّبـــا

وردَّ الرمـــالَ الـــسُمْرَ خُـــضراً وحاكهـــا
سمـــــاءً وأغناهـــــا ورش وكوكبـــــا

وحــــرَّك في البيـــد الحيـــاةَ وســـرَّها
فمـــــا هامـــــدُ في البيـــد إلاَّ توثبـــــا

ولاعـــب في حـــالٍ مـــن الرمـــل ربربـــاً
وضـــاحك في غـــالٍ مـــن الوشـــي ربربـــا

وجَمَّـــــعَ ألـــــوانَ الـــــضياءِ ورَشـــــها
فـــــأَحمر ورديـــــاً وأشْـــــقَرَ أصـــــهَبا

وأخـــضرَ بـــين الأيـــك والبحـــر حـــائراً
وأبـــيض بـــالوهج الـــسماويِّ مُـــشرَبا

ولونــاً مـــن الــسمراء صـــيغت فتونـــه
بياضـــاً، نعـــم لكـــن بياضـــاً تَعرَّبـــا

أتـــدري الربـــى أنَّ الـــسماوات ســـافرتْ
لتـــشهدَ دُنيانـــا فأَغفَـــتْ علـــى الربـــى ؟

* * *

حنين الغريب

مهداة إلى بحيرة جنيف

وفـــاءٌ كمـــزن الغـــوطتين كـــريمُ
وحـــــب كنعمــــــاءِ الــــــشآم قــــديمُ

وشـــــعر كآفـــــاق الــــسماء تبرَّجـــت
شمـــــوس علـــــى أنغامـــــه ونجـــــومُ

تطـــوحني الأســـفارُ شـــرقاً ومغربـــاً
ولكـــــن قلـــــبي بالـــــشآم مقـــــيمُ

وأسمـــع نجواهـــا علـــى غـــير رؤيـــة
كـــأني علـــى طـــور الجَـــلالِ كلـــيمُ

ومـــا نـــال مـــن إيمـــاني الـــسمح أنـــني
أصـــــلي لهـــــا في غـــــربتي وأصـــــومُ

وللمجـــــد أعبـــــاءٌ ولكنهـــــا مُنـــــىً
وللمكرمـــــــاتِ الغاليـــــــاتِ هُمـــــــومُ

جلَــتْ هــذه الــدنيا لعــيني كنوزَهــا
لوامـــــعَ يغـــــري بَرْقُهـــــا فأشِـــــيمُ

أفــــانينُ مــــن حــــسن وجــــاه ونعمــــة
معــــــــادنُ دُرٍّ كلــــــــهن كــــــــريمُ

ووشــــيٌ بــــه الألــــوانُ حــــيرى كأنهــــا
سمــــــاء فتــــــصحو لمحــــــةً وتغــــــيمُ

ولم أتــــــردَّدْ وانتقيــــــتُ .. حُبَّهــــــا
وأحلامُهــــا مــــا اخــــترْتُ حــــين تَــــسومُ

وتــــوجَزُ في قــــارورةِ العطــــر روضــــةٌ
وتــــوجز في كــــأسِ الرحيــــق كــــرومُ

تُبــــادِهُني عنــــد الــــبحيرةِ دُمَّــــرٌ
ورَوْضٌ علــــى أفيائهــــا وشمــــيمُ

وَوُرْقٌ علــــى شــــطِّ الــــبحيرةِ حُــــوَّمٌ
وَوُرْقٌ علــــى قلــــب الغريــــب تحــــومُ

وحيــــتْ مــــن الــــرَوْح الــــشآمِيِّ نفحــــةٌ
وَلــــوعٌ بأَشــــتاتِ الطيــــوب لَمُــــومُ

ولاح صــــغاري كــــالفراخ وأمهــــم
حنــــونٌ كورقــــاء الغــــصون رؤومُ

فِــــراخٌ وإنْ طـــاروا، وللـــريح ضـــجَّةٌ
وللرعـــــد زأرٌ في الــــدجى وهــــزيمُ

يــشبُّ الفتــى مــنهم ويبقــى لــرحمتي
كمــا كــان في عــينيَّ وهــوَ فطــيمُ

وهـــانٍ بنعمـــاءِ الطفولـــة مـــا درَى
أهـــــادَنَ دهـــــرٌ أم أَلحَّ خَـــــصيمُ

غريـــرٌ يـــبين القـــول بـــل لا يبينـــهُ
طَفـــورٌ كـــأطلاءِ الظبـــاء بَغـــومُ

وهيهـــاتَ تنـــسى في الـــبحيرة دُمَّـــرٌ
وســـجْعٌ بـــوادي الربـــوتين رخـــيمُ

إذا لاح لـــي وجـــه الـــبحيرةِ قاتمـــاً
ألح عليـــــه عاصـــــفٌ وغيـــــومُ

فَوَجْـــهُ أديـــم الـــشام طلـــقٌ مُنـــوَّرٌ
ووجـــه بحـــيراتِ الـــسماءِ قـــسيمُ

ويحـــــزنني دوحُ الـــــبحيرة عاريـــــاً
وأوراقُـــهُ الخـــضراء وَهـــيَ هـــشيمُ

وأبـــسط كفـــي أقطـــف المـــاء عابثـــاً
كـــأنَّ المويجـــاتِ الـــصغارَ جَمـــيمُ

وتلـــك الظـــلالُ الحاليـــاتُ عواطـــلٌ
علــــى كـــل أيـــك وحـــشة وســـهومُ

تعـــرَّتْ مــــن الغيـــد المـــلاح وطالمـــا
تغطَّـــــى بأســــرابِ المـــــلاح أديـــــمُ

رســومُ هــوى مــا اســتوقفت خطْــوَ عــابر
كمــا اســتوقَفَت ركْــبَ الفــلاةِ رســومُ

ولا لَـــــثَم الـــــصهباءَ فيهـــا مُتَـــيَّمٌ
يـــشم الهـــوى مـــن عطرهـــا فيهـــيمُ

يُجلِّلـــــها الليـــــل البهـــيمُ ومثلـــهُ
ضــحى كالــدجى غَمــرُ الــسواد بهــيمُ

وشمــس الــضحى جَــوْدٌ كعــاب يــضمُّها
لغـــيران مـــن صـــيدِ الملـــوك حـــريمُ

يُــرَد ويُجْلــى عــن كُــوَى الغــيمِ وجْهُهــا
كمـــا رُدَّ عـــن بـــاب البخيـــل يتـــيمُ

ويــشكو الــضحى مــن هجرهــا متوجعــاً
ويوحــــــشه هجرانُهـــــا ويـــــضيمُ

تأَبَّـــتْ علـــى جُهْـــدِ الـــضحى فكأنهـــا
مـــن الغيـــد مكـــسالُ الـــدلال نـــؤومُ

وضــمَّ الظــلامُ الــسكبُ ظــلاً لجــارهِ
كــأنَّ الظـــلالَ المغفيـــاتِ جُـــسومُ

يطــــارحني دَوحُ الــــبحيرة شَـــجْوَهُ
كلانـــا معنـــىً بالزمــانِ هـــضيمُ

وأشـــكو لـــه البلـــوى ويـــشكو كأننـــا
حمـــيمٌ يـــساقيه العَـــزاءَ حَمـــيمُ

أتــشكو ولكــنْ عنــدك الــريح والــدجى
وللجـــنِّ مـــن شـــتَّى الظــلالِ نُجــومُ

وعنـــــدك آلاف الطيــــوفِ حــــوائِمٌ
روانٍ لأســــــرار البُحيْـــــرَةِ هـــــيمُ

تُلَمْلِـــمُ أســــرار الـــبُحيرةِ شُـــرَّداً
ويفتنُهـــا سَــــكْبُ الـــشذا فتريـــمُ

هُنـــا كــلُّ أســرار الــبحيرة والــرؤى
طــــوافرُ في دُنيـــا الخفَـــاءِ تهـــيمُ

هُنـا عُـرسُ الأطيـاف يفـترش الـدجى
ويقعـــــد في أحـــــضانه ويقــــومُ

خَفَــاءٌ يــضجّ الــصمتُ فيـــه وبلبـــلٌ
تحـــدَّى ضـــجيج الــصمت فَهــو نغــومُ

ولَفَّ الخفاءُ الحسنَ حتى شكى الهوى

وغـــار حريـــر مـــترف ورقـــومُ

فـــدع لومـــه إن يلـــح لـــك ســـحره

خيالُـــكَ لا سِـــحْرَ الخفـــاءِ مَلُـــومُ

هُنـــا أَلَّـــفَ الأطيـــارَ والنـــاسَ رحمـــةٌ

فللطـــير أنـــس فـــيهم ولـــزومُ

إذا انبـــسطت راحٌ فللطـــير فوقهـــا

حـــنينٌ إلى سمـــح القـــرى وجثـــومُ

فيـــا خجلـــة الـــصحراء لم يَـــنْجُ جـــؤذُرٌ

ولا قـــر عينـــاً بالأمـــانِ ظَلِـــيمُ

ولم تَهـــنَ بـــالعُشِّ البعيـــد حمامـــةٌ

فـــصيَّادُها صـــعب المِـــراسِ عَـــزومُ

شـكا الطـيرُ مـن ظُلـم الأناسـيِّ واشـتكتْ

ظِبَـــاءٌ وعـــشبٌ في الفـــلاة نجـــيمُ

فيـــا ربِّ لا أقـــوى مـــن الطـــير عـــشهُ

ولا راعَ أَســـرابَ الظبـــاءِ غـــريمُ

ويـــا ربِّ تـــدري الـــشام أنـــي أُحبَّهـــا

وأفنـــى وحـــبي للـــشآم يـــدومُ

وفي كـل أيـكٍ لـي علـى الـشام مَنْـسَكٌ

وفي كــــل دوح زمـــــزمٌ وحطـــــيمُ

ويـــا ربِّ إنْ ســـبَّحتُ والـــشام قـــبلتي

فأنـــــتَ غفـــورٌ للـــــذنوب رحــــيمُ

تهلَّــــلَ عفـــو الله للـــــدنب عنـــدما

أطَـــلَّ عليـــه الـــذنب وهـــو وَسِـــيمُ

* * *

إبتهالات

لا الغوطتـــــانِ ولا الـــــشبابُ
أدعـــو هـــوايَ فـــلا أجـــابُ

أيْـــنَ الـــشآمُ مـــن الـــبحيرة
والمـــــآذنُ والقِبـــــابُ

يـــا شـــامُ، يـــا لـــدة الخُلـــودِ
وَضـــمَّ مجـــدَكما أنتـــسابُ

مَـــنْ لـــي بنَـــزْرٍ مـــن ثـــراكِ
وقـــد ألحَّ بـــيَ اغْتِـــرابُ

أشـــتاقُ شمـــسكِ والـــضحى
أنـــا والـــبحيرةُ والـــضَبابُ

ومُـــضَفَّراتٌ بـــالثلوجِ كأَنمـــا
نَـــصَلَ الخِـــضابُ

تَعْـــوي الريـــاحُ فمـــا القـــساوِرُ
في الفـــلاةِ ومـــا الـــذئابُ

والـــــثلجُ جُــــــنَّ فَلــــمْ تَـــــبنْ
سُــــــبُلٌ ولم تُعْـــــرَفْ شِـــــعابُ

يـــا شمـــس غبـــتِ فكيـــف تَـــمَّ
ـــــ ولا طلــــوعَ لـــــكِ ــــ الغِيـــابُ

إن كنـــــــتِ مـــــسلمة الهــــوى
فتـــــــأَلقي، رُفِـــــعَ الحِجـــــابُ

مـــــلَّ الــــسحاب مــــن الــــسماءِ
وقـــــــــرَّ في الأرض الــــــــسحَابُ

وكـــأَنَّ مـــلءَ الأرض، مـــلء الأفـــق
آلهــــــــــــــة غِـــــــــــضابُ

حُــــــسْنٌ يُهـــابُ ومـــــا سَـــــما
حُــــــسْنٌ يُحـــــبُّ ولا يُهــــابُ

دَوْحَ الـــــبحيرة . أَيـــــن ســــامِرُكِ
المعطَّـــــــــــرُ والـــــــــشرابُ

والراقــــصون وَنَــــوا فَحِــــينَ
دعـــــاهُمُ الـــــنَغَمُ اســــتجابُوا

وتكــــاد تُقْطَـــــفُ كالريــــاحين
المجانـــــــــةُ والـــــــدُعَابُ

أَهـــي العقـــود علـــى الرقـــابِ
بـــــلِ المعاصــــــمُ والرقـــــابُ

في غربـــــةٍ أنـــــا والإبـــــاءُ
المُــــــــرُّ والأَدَبُ اللبــــــابُ

كالــــــسيفِ حَلَّتُـــــهُ الفتـــوحْ
ورُبَّمـــــــا بَلِــــــيَ القـــــرابُ

طـــــوْدٌ أَشـــــمُّ فكيـــــف ترشـــــقني
الـــــــــسهام ولا أُصـــــــابُ

يـــــا ربِّ . بابُــــــكَ لا يَــــــرُدُّ
اللائـــــذينَ بـــــه حِجـــــابُ

مفتاحُــــــهُ بيـــــدي يقـــــينٌ
لا يُلِــــــمُّ بِــــــهِ ارتيـــــابُ

ومحبـــــــة لـــــــك لا تُكَـــــدَّرُ
بالريـــــــــاء ولا تـــــــــشابُ

وعِبـــــادةٌ لا الحـــــشرُ أمْلاهـــــا
علـــــــــيَّ ولا الحِـــــــــسابُ

وإذا ســــــأَلتَ عـــــن الـــــذنوب
فـــــإنَّ أدمُعــــــيَ الجـــــوابُ

هـــي في يمـــيني حـــين أبـــسطها
لرحمتـــــــــك الكِتـــــــابُ

إنــــي لأغــــبط عـــاكفين
علـــى الـــذنوبِ ومـــا أنـــابوا

لـــــو لم يكونـــــوا واثقـــين
بعفـــــوك الهــــاني لتـــابوا

مـــنهم غـــداً لكنـــوز رحمتـــكَ
اختطـــــــافٌ وانْتِهـــــابُ

مـــــنهمْ غـــــداً بيقيـــــنهم
مـــنْ فيءِ سِـــدْرَتِكَ اقـــترابُ

أنـــا والربيــــع مُـــشرَّدانِ
وللـــشذا معنـــا ذَهـــابُ

لا الأيـــك بعــــد غيابنـــا
غـــردُ الطيـــوبِ ولا الربـــابُ

والنـــور يـــسأَل والخمائـــلُ
والجمـــالُ متـــى الإيـــابُ

* * *

القصيدة التي ألقاها الشاعر النائب بدوي الجبل في الحفلة التكريمية الكبرى التي أقامتها الحكومة السورية على شرف شكري القوّتلي رئيس الجمهورية السورية بمناسبة مرور أربع سنوات على انتخابه لرئاسة الجمهورية، وذلك في حديقة البرلمان بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٤٧ م .

تمنى الركب وجهكَ والصباحا
فجن الليل من فجرين لاحا

وخف إلى ظلالك عبد شمس
يريح شجونه ظمأى طلاحا

حمى الله الكواكب من معد
وصانك بينها قمراً لياحا

وطمأن للجواري كل بحر
وبلغها السلامة والنجاحا

حملت هموم قومك فاستراحوا
وغيرك لا استراح ولا أراحا

يهدد بالسلاح ويدعيه
وما ملك الجنود ولا السلاحا

بطاح القدس دنسها مغير
فهل صانت كتائبه البطاحا

وهــل جبهــت بحــد الــسيف دعــوى
كعـــرض القـــوم فـــاجرة وقاحـــا

ولم يغـــضب لنـــا أيـــام كنـــا
حمـــى نهبـــاً وشـــعباً مـــستباحا

ولا صـــــدت ســـــراياه عـــــدواً
ولا هاجـــت حميتـــه كفاحـــا

ولا اهتـــزت صـــوارمه انتخـــاءاً
ولا صـــهلت صـــوافته مراحـــا

نجابـــه بالحديـــد ونحـــن عـــزل
فيفـــضي : لا أبـــاء ولا طماحـــا

يريـــد قيـــوده بيـــدي غـــلا
ويـــسمعني جنينـــاً والتياحـــا

ويـــزعم أن هـــذا الكيـــد ســـر
لقــد جهــد الزمــان بــه افتــضاحا

تنكـــر فهـــو لـــو كـــشفت عنـــه
آســـف مجانـــة وهـــوى مزاحـــا

وذل فـــلا نـــسميه عـــداءاً
وهـــان فـــلا نـــسمّيه نطاحـــا

جلونـــا الفـــاتحين . فـــلا غـــدواً

تـــــرى للفـــــاتحين ولا رواحـــــا

❖ ❖

إذا انقــــصفت أســــنتنا وصــــلنا

بأيــــدينا الأســــنة والــــصفاحا

إذا خــــرس الفــــصيح فقــــد لقينــــا

مــــن الــــنيران الــــسنة فــــصاحا

زمــــاجر دكــــت الطغيــــان دكــــا

وأخرســـــت العواصــــف والرياحــــا

وتعــــرف هــــذه الحــــصباء منــــا

دمــــاً ســــكبا وهامــــات وراحــــا

وأشــــلاءاً مبعثــــرة تمنــــت

علــــى البيــــد الــــشقائق والأقاحــــا

تتيــــه بهــــا الرمــــال وتــــصطفيها

مــــن الفــــردوس ريحانــــاً وراحــــا

يــــرف علــــى خمائــــل غوطتيهــــا

هــــوى بطــــل علــــى الغمــــرات طاحــــا

والمــــح في الــــسراب منــــى شــــهيد

تخيــــل في الــــوغى المــــاء القراحــــا

فــلا حـــرم الـــشهيد بـــروض عـــدن
علـــى بـــردى غبوقـــاً وأصـــطباحا

❖ ❖

حمـــى دنيـــا أميـــة أريحـــي
مـــتين الأســـر قـــد قـــرع الرماحـــا

أبـــو حـــسان إن طغـــت الرزايـــا
تحـــدى الـــدهر والقـــدر المتاحـــا

أشـــم الأنـــف أبلـــج سمهـــري
كـــأن علـــى محيـــاه صـــباحا

تمـــرس بـــالخطوب فمـــا شـــكاها
ولـــولا كـــبره لـــشكا وباحـــا

تـــذكرت الـــشآم أخـــاك ســـعداً
ومـــن ذكـــر الحبيـــب فـــلا جناحـــا

أرق النـــاس حاشـــية وطبعـــاً
وأعـــنفهم علـــى الطـــاغي جماحـــا

ينـــافح لا تروعـــه المنايـــا
فـــإن شـــتم اللئـــيم فـــلا نفاحـــا

زحمنـــا الـــنجم منـــه علـــى جنـــاح
وفيأنـــا . مروءتـــه جناحـــا

إذا بكت الشآم أخاك سعداً
فقد بكت المروءة والسماحا

ولو نعت النعاة أخاك سعداً
إلى قمر السماء بكى وناحا

ولو فديته بضياء عيني
لقل مودة وهوى صراحا

❖ ❖

جراح في سريرتك أطمأنت
لقد أكرمت بالصبر الجراحا

كأن الهم ضيفك فهو يلقى
على القسمات بشراً وأرتياحا

وقبلك ما رأت عيني هموماً
مدللة وأحزاناً ملاحا

وقد ترد الخطوب على كريم
فترجع من صباحته صباحا

❖ ❖

ويا دنيا أمية لا تراعي
جيوشك تملأ الرحب الفساحا

طلعت على العصور هدى وخيراً
غداة طلعت غزواً وأفتتاحا

وما جمل الصلاح على ضعيف
فبعض الذل تحسبه صلاحا

وعلمت الحضارة فهي فجر
على الأكوان ينساح إنسياحا

ورب حضارة طهرت وطابت
ورب حضارة ولدت سفاحا

وعلمت المروءة فهي عطر
من الفردوس يسكرنا نفاحا

وعلمت العروبة فهي عرض
لربك لن يهان ولن يباحا

أساح المجد حسبك لن تكوني
لغير شبابك المأمول ساحا

خذي ما شئت واقترحي علينا
كرائم هذه الدنيا اقتراحا

❖ ❖

أبا حسان رف كريم ودي
على نعماك فخراً وامتداحا

بلائي ما شهدت وليس مناً
إذا عددتها غرراً وضاحا

إذا زحمـــــتني الجلـــــى بـــــروع

جمعـــت لهـــا الإبـــاء فـــلا براحـــا

ولـــو زحمـــت ثـــبيراً حـــين شـــدت

علـــــي لـــــضج غاربـــــه وزاحـــــا

وأوجـــــع مـــــن مـــــصائبها خليـــــل

أغـــار علـــى المـــودة واســـتباحا

ولـــو شـــئنا جزينـــاه ... ونرضـــي

شمائلنـــــا فنوســـــعه سماحـــــا

أتنكرنـــــي الـــــشام وفي فـــــؤادي

تلقيـــــت الأســـــنة والجراحـــــا

إذا نـــسيت علـــى الجلـــى وفـــائي

فقـــد عـــذروا علـــى البحـــر الملاحـــا

وغنيـــــت الـــــشآم دمـــــاً وثـــــأراً

فـــلا شـــكوى عرفـــت ولا نواحـــا

وأكـــرم عهـــدك الميمـــون شـــعري

فقلـــــده جـــــواهري الـــــصحاحا

* * *

الذكرى

مهداة إل روح الفقيد الكريم

المرحوم الشيخ علي محمد كامل

لهيب من الذكرى، وحقدك، لا يخبو
متى يتلاقى بعد نأيهم الصحب ؟

أحبة قلبي إن بعدتم فما نأى
عن القلب لا الوجد الملح ولا الحب!

على طيفكم أغمضت جفني وانطوى
صياناً له في مقلتي الهدب والهدب

جلوت القذى عنها وفاءً لطيفكم
فأحلامها نعمى، ومدمعها عذب

نزلتم من الذكرى بقلبي منزلاً
يرف عليه النور والظل والخصب

أراكم عل بعد المزار، فيا له
حنيناً تلاقى عنده البعد والقرب !

ويدنيكم مني خيال مجنح
أراقت عليه نورها الأنجم الشهب

خيـــال يجـــوز الكـــون والـــدهر والمنـــى

ويطـــوي الغيـــوب النائيـــات ولا يكبـــو

فيـــا بعـــدها مـــن غايـــة لم تـــرح بهـــا

مطـــي، ولا حـــط الرحـــال بهـــا ركـــب

ولله مـــــا أوفـــــى الخيـــــال، فبيننـــــا

وبيـــــنكم منـــــه الرســـــائل والكتـــــب

يلـــــم فيلقاكم،ويـــــشكو إلـــــيكم

مـن البعـد مـا تـشكو ويـصبو كما،نصبو

ونظمـــأ لـــولا نهلـــة مـــن رحيقـــه

أديـــرت فـــلا الـــساقي أفـــاق ولا الـــشرب

ســلاف مــن الــذكرى أدبــرت كؤوســها

فمـــا شـــرب النـــدمان لكـــنهم عبـــوا

❖ ❖

نعيـتم فلـم يخلـص إلى القلـب نعـيكم

ولم تتقبلـــــه البـــــصيرة واللـــــب

إذا مـــر وجـــه عـــابر رحـــت أجتلـــي

أســـاريره، بـــشر علـــيهن أم رعـــب ؟

لعـــل الـــذي ينعـــاكم كـــان كاذبـــاً

فيـــا نعمـــة قـــد كـــان يحملـــها الكـــذب !

يجـس الطبيـب النـبض حـيران ذاهـلاً
وهيهــات لا يغــني الطبيــب ولا الطــب

ويرجــو علــى اليــأس المريــر، وإنــه
خـــداع الأمـــاني والتعلـــة والحـــب

❖ ❖

وللأهـــــل أبـــــصار روان تعلقـــــت
بعينيــــه، أيجـــاب هنالـــك أم ســـلب ؟

وصــمت مريــر دون مــا فيــه مــن أســى
بكـــاء الثكـــالى والتفجـــع والنـــدب

فوارحمتـــاً للنـــاهلات مـــن الـــصبى !
ألم يتهيـــب مـــن براءتهـــا الخطـــب ؟

غرائـــر مـــن نعمـــى الـــدلال تلفتـــت
فاعوزهـــا عطـــف الأبـــوة والحـــدب

فيـــا للـــصبي الهـــاني ! شـــجاني أنـــه
حـزين،ومن طبـع الـصبى اللـهو واللعـب

فيـــــا ربِّ ! لا راع الطفولـــــة رائـــــعٌ
ويـــا ربِّ ! لا الـــوى بنعمائهـــا كـــرب

ويـــا ربِّ للأطيـــار والفجـــر والنـــدى
إذا شـئت، لا للعاصـف الغـصن الرطـب

إذا أنهل غرب من صغير جرى له
من الأفق الأعلى على صغره غرب

إذا عبرات الطفل مرت بمجدب
من النفس روته ففارقه الجدب

دموع كعفو الله لو مر بردها
على الرملة الحرى لنضرها العشب

ويا ربّ مر تصبح نسيماً معطراً
على كل محزون زعازعها النكب

ويا ربّ عندي من كنوزك حفنة
من الحب أذريها ولكنها تربو

تمنيت لو فاضت حناناً ورحمةً
من الظالمين الخنزوانة والعجب

فلا يعوز الإنسان حبٌّ ورحمة
ولا تعوز الطير الخمائل والحب

أريد حياة الناس خيراً ونعمة
وتأبى السيوف المشرفية والقضب

أرى الفرد لا يبقى وإن طال حكمه
ويبقى بقاء الحق والزمن الشعب

وأشـــهد أن الظلـــم يـــردي فلـــو طغـــى
على السفح هضب شامخ زلزل الهضب

شـــكت جـــبروت الكثـــب حبـــات رملـــها
إلى الله، فأنهـارت مـع العاصـف الكثـب

❖ ❖

أبـــا أحمـــد هـــل يرفـــع الـــستر مـــرة
عـن المـلأ الأعلـى وتنكـشف الحجـب

طيـــوف مـــن النـــور المحجـــب لمحـــت
تقربهـــا عـــين، وينـــدى بهـــا قلـــب

وكـــشف للأخـــرى صـــفاء معطـــر
حبيـــب إلى قلـــبي ولكنـــه صـــعب

فلحـــت لنـــا في عـــالم الحـــق بدعـــة
مـن النـور يخبـو كـل حـسن، ولا يخبـو

فرحنـــا نحيـــي مـــن نحـــب تحيـــة
تنازعهـــا الـــشوق المـــبرح والعتـــب

أتنـــأى ؟ فهـــلا وقفـــة يـــشتفي بهـــا
خليـــل ويقـــضي حـــق لوعتـــه صـــب

أتنـــأى ؟ ومـــا ودعـــت أهـــلاً ولا حمـــى
فـأين الحنـان الـسمح والخلـق الرحـب ؟

❖ ❖

أبـــا أحمـــد هـــذي المواكـــب أقبلـــت

يـــضيق بهـــا شـــوق المنـــازل والغـــرب

رأت بـــشرك المرمـــوق في وجـــه أحمـــد

فللعـــين مـــن نعمـــى طلاقتـــه شـــرب

فتـــاك الـــذي علمتـــه البـــأس والنـــدى

فللـــــه عـــضب راح يخلفـــــه عـــضب

أبـــــا أحمـــــد في ذمـــــة الله صـــــارم

مـــن الحـــق لا يـــشكو الـــضراب ولا ينبـــو

يمـــان محلـــى فهـــو في الـــسلم زينـــة

وتكـــشف عنـــف المـــوت في حـــده الحـــرب

ســـقى الله بالـــذكرى علـــى غـــير حاجـــة

ولا حـــاد عـــن أطيابهـــا الغـــدق الـــسكب

عهـــوداً لنـــا كـــالنور أمـــا نعيمهـــا

فـــسمح لمـــن يهـــوى مفاتنـــه نهـــب

لبـــسن الـــصبى بـــرداً فـــلا خـــز فـــارس

يـــدل، ولا الـــديباج والوشـــي والعـــصب

عهـــوداً نجيبـــات الأصـــيل والـــضحى

وإن قـــل في الإنـــسان والـــزمن النجـــب

ولله مـــــا أحلـــــى مرابـــــع لهونـــــا

ينـــــادم تربـــــاً في خمائلـــــها تـــــرب

ينـــيخ ذوو الحاجـــات فيهـــا رحـــالهم

وتـــصهل في أفيائهـــا الـــضمر القـــب

أحـــــن إذا فـــارقتني بعـــض ســـاعة

وتحمـــد في الحـــب اللجاجـــة لا الغـــب

شـــببنا علـــى محـــض الوفـــاء وصـــفوه

كـــذلك آبـــائي وآبـــاؤكم شـــبوا

ويجمعنـــا نجـــر قريـــب سمـــت بـــه

لغـــسان أقيـــال غطارفـــة نجـــب

وحـــب رمتـــه في اللـــهيب لـــصهره

صـــروف الليـــالي والقطيعـــة والـــذنب

وكـــأس تـــساقينا ثلاثـــين حجـــة

عـــذوبتها طبـــع، وتقطيبهـــا كـــسب

أشـــم عـــبيراً مـــن ترابـــك عـــاطراً

أمنـــك اســـتعار العطـــر والنـــضرة الـــترب

فحيـــت ثـــراك المـــزن كفـــك لا الحيـــا

وجادتـــه بالـــسقيا يمينـــك لا الـــسحب

خاص بمجلة القيثارة الصادرة بتاريخ كانون الثاني ١٩٤٧ م

الفهرس

* * *